
عجائب فلسطين السبع
الشيخ.. الختيار.. الحكيم
سهى علي رجب


إن بضع صفحات لا يعقل أن تتسع لتاريخ عمره من السنوات
يفوق النصف قرن وعليه فإن هذه محاولة مني لرصد محطات
رئيسية من هذا التاريخ، وبعض من رموزه الوطنية التي كتبت
هذا التاريخ بدمائها، هي وحدها لها الحق بأن تحمل الكتب
والصحف والمجلات أسماءهم قبل غيرهم ممن هم على قيد
الحياة. كما أن هذا الكتاب لا يمكن أن يتسع لسرد مطول عن
شخصيات أقل ما يقال عنهم إنهم الآباء الشرعيون للنضال
الفلسطيني في ظل وجود سلطة لا هم لها سوى الصراع الدائم
على المناصب وأكياس الدولارات.
Cartage International Center
Publishing & Media
ثقافة لإثراء العقل وتنمية الذات

الشيخ .. الختيار .. الحكيم

عجائب فلسطين السبع

عنوان المصنف

الشيخ الختيار الحكيم (عجائب فلسطين السبع)

اسم المؤلف / سهى علي محمود رجب

تصميم الغلاف / أحمد محسن

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية

١١١٤٨ / ٢٠١٠

النـاشر

مركز قرطاج الدولي للنشر والإعلام

الإدارة و المطابع

٥ ش السلام – أمام كلية التربية الرياضية – ش فيصل – جيزة

ت : ٣٧٨٣٢٥٧٥ – ٠١٨٢٦٤١٥٨٦

٣٩٧٦٠٠٢٧ – ٠١١٧٤٠٠٧٢٥



ثقافة لإثراء العقل و تنمية الذات

كلمة الناشر

هناك من جاء إلى الدنيا ورحل عنها دون أن يسمع به أحد ، وهناك من وضع بصمته إلى الأبد .
هؤلاء هم الرجال، صناع التاريخ ، والرجل كلمة وموقف وقضية.

لقد جمعت فلسطين إلى قداسة المكان أشراف الرجال .
أختارت منهم الكاتبة سبع شخصيات هم بحق علامات فى تاريخ النضال الفلسطينى ، كلهم مثل يحتذى .
كانوا جميعا أقوى من الإنصياع بالعصا ، وفوق الاحتواء بالجزرة.

رغم اختلافهم فى الفكر والمنهج إلا أنهم اجتمعوا على هدف واحد وقضية واحدة ، عاشوامن أجلها ، ودفعوا حياتهم فداءا لها .

ومركز قرطاج وقد عهد على نفسه ألا ينشر إلا ما يبنى النفس ويثرى العقل، يقدم للقارئ العربى هذا الكتاب المتميز الذى عمد إلى توثيق حياة النضال الفلسطينى لجيل قادم يحقق أحلام الرعيل الأول فى دولة فلسطينية من النهر إلى البحر ينعم فيها أبناء الأديان الثلاثة بالسلام كما عاشوا منذ مئات السنين .

ورغم قلة صفحات الكتاب نجحت المؤلفة فى رسم صورة ذهنية عن شخصية وحياة هؤلاء الأبطال فى سياق درامى بين الملاحقة والمقاومة ، بين الصمود أمام الشدائد وبين عاطفة العودة إلى الوطن إلى القدس ، إلى يافا وحيفا ، إلى المجدل والجليل ، إلى الرمله واللد ،إلى الأقصى وبيت لحم ، إلى الخليل وأرض المهد .

لقد جاء الكتاب خاليا من الإنشاء والخطابة معتمدا على السرد المعلوماتى بأسلوب شيق يثير فضولك لقراءته فى جلسة واحدة .

السيد إمبابى
مركز قرطاج للنشروالإعلام

الشيخ .. الختيار .. الحكيم

عجائب فلسطين السبع

سهى على رجب

مركز قرطاج الدولى
للنشر و الاعلام

إهداء

إلى الشمس التى تنير حياتى

إلى القلب الذى يغمرنى حبا

إلى العقل الذى علمنى

إلى الشجرة التى تظلل حياتى حنانا... أمى الحبيبة

ابنتك

سهى

الفصل الأول

الشيخ



بطاقة شخصية

الاسم بالكامل : أحمد إسماعيل ياسين

اسم الشهرة : الشيخ أحمد ياسين

تاريخ الميلاد : ٢٨ يونيو ١٩٣٦

محل الميلاد : عسقلان، نقب

الشيخ أحمد يا سين هو مؤسس حركة المقاومة الإسلامية "حماس" وزعيمها حتى وفاته فى ٢٢ مارس ٢٠٠٤ كان فى العاشرة من عمره عندما كان البريطانيون يجلبون الصهاينة من كل بقاع الأرض لينشروهم فى ربوع فلسطين و ليؤسسوا لهم بسطوة القوة المدججة بالسلاح دولة تسمى "إسرائيل" فى عام ١٩٤٨ ، ولد الشيخ أحمد ياسين فى عام ١٩٣٨ فى قرية "الجورة" إحدى قرى مدينة المجدل عسقلان و مع حلول النكبة هاجر مع أسرته الفقيرة من منطقة المجدل عسقلان إلى القطاع و لم يمكث طويلاً حتى تعرض عام ١٩٥٢ لحادث و هو يمارس الرياضة على شاطىء غزة ما أدى إلى شلل شبه كامل فى جسده تطور لاحقاً إلى شلل كامل، لم يثنه الشلل عن مواصلة تعليمه و صولاً إلى العمل مدرساً للغة العربية و التربية الإسلامية فى مدارس وكالة الغوث بقطاع غزة فى تلك الأثناء أى فترة الخمسينات و الستينات كان المد القومى قد بلغ مداه فيما أعتقل الشيخ من قبل السلطات المصرية التى كانت تشرف على غزة بتهمة الإنتماء لجماعة الإخوان المسلمين و عندما كان رجالات الحركة فى قطاع غزة يغادرون القطاع هرباً من البطش. كان للشيخ أحمد ياسين رأى آخر فقد أعلن أن على هذه الأرض ما يستحق الحياة و الجهاد... و كنى ياسين فى طفولته بـ (أحمد سعدة) نسبة الى امه الفاضلة (السيدة سعدة عبد الله الهبيل) لتمييزه عن اقرانه الكثر من عائلة ياسين الذين يحملون اسم أحمد .

حين بلغ العشرين بدأ أحمد ياسين نشاطه السياسى بالمشاركه فى

المظاهرات التى اندلعت فى غزة احتجاجا على العدوان الثلاثى الذى استهدف مصر عام ١٩٥٦ ، حينها اظهر قدرات خطابية وتنظيمية ملموسة حيث استطاع ان ينشط مع رفاقه الدعوة إلى رفض الإشراف الدولى على غزة مؤكدا على ضرورة عودة الاقليم إلى الادارة المصرية .

كانت مواهب أحمد ياسين الخطابية قد بدأت تظهر بقوة، ومعها بدأ نجمه يلمع وسط دعاة غزة، الأمر الذى لفت إليه أنظار المخابرات المصرية العاملة هناك، فقررت عام ١٩٦٥ اعتقاله ضمن حملة الاعتقالات التى شهدتها الساحة السياسية المصرية والتى استهدفت كل من سبق اعتقاله من جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤، وظل حبيس الزنزانة الانفرادية قرابة شهر ثم أفرج عنه بعد أن أثبتت التحقيقات عدم وجود علاقة تنظيمية بينه وبين الإخوان. وقد تركت فترة الاعتقال فى نفسه آثارا مهمة لخصها بقوله "إنها عمقت فى نفسه كراهية الظلم، وأكدت (فترة الاعتقال) أن شرعية أى سلطة تقوم على العدل وإيمانها بحق الإنسان فى الحياة بحرية".

بعد هزيمة ١٩٦٧ التى احتلت فيها إسرائيل كل الأراضى الفلسطينية بما فيها قطاع غزة استمر الشيخ أحمد ياسين فى إلهاب مشاعر المصلين من فوق منبر مسجد العباسى الذى كان يخطب فيه لمقاومة المحتل، وفى الوقت نفسه نشط فى جمع التبرعات ومعاونة أسر الشهداء والمعتقلين، ثم عمل بعد ذلك رئيسا للمجمع الإسلامى فى غزة.. وتعد الفترة ما بين عامى ١٩٦٧ و ١٩٨٧ من الفترات

التى لا يعرف عنها الكثيرون من حياة الشيخ أحمد ياسين.

وفى عام ١٩٨٧م ، اتفق أحمد ياسين مع مجموعة من قادة العمل الإسلامى فى قطاع غزة على تكوين تنظيم إسلامى بغية تحرير فلسطين أطلقوا عليه اسم " حركة المقاومة الإسلامية " المعروفة اختصارا باسم "حماس" . بدأ دوره فى حماس بالانتفاضة الفلسطينية الأولى التى اندلعت آنذاك والتى اشتهرت بانتفاضة المساجد ، ومنذ ذلك الحين وأحمد ياسين يعتبر الزعيم الروحى لحركة حماس . ولعل هزيمة ١٩٤٨ من أهم الأحداث التى رسخت فى ذهن ياسين والتى جعلته فى قناعة تامة على إنشاء مقاومة فلسطينية فى وجه الاحتلال الإسرائيلى. فيرى بضرورة تسليح الشعب الفلسطينى والاعتماد على السواعد الوطنية المتوضئة وكذلك البعد العربى والإسلامى فى تحرير فلسطين، إذ لا يرى ياسين من جدوى فى الاعتماد على المجتمع الدولى فى تحرير الأرض الفلسطينية. وحركة حماس هى امتداد لحركة الإخوان المسلمين العالمية التى مقرها الرئيسى فى جمهورية مصر العربية بالقاهرة وكان مؤسسها حسن البنا الذى تم اغتياله فى ١٢ فبراير ١٩٤٩ .

بعد ازدياد أعمال الانتفاضة الأولى، بدأت السلطات الإسرائيلية التفكير فى وسيلة لإيقاف نشاط أحمد ياسين فداهمت بيته فى أغسطس ١٩٨٨ وفتشته وهددته بنفيه إلى لبنان. وعند ازدياد عمليات قتل الجنود الإسرائيلين وتصفية العملاء المتعاونين مع المحتل الصهيونى قامت سلطات الاحتلال يوم ١٨ مايو ١٩٨٩

باعتقاله مع المئات من أعضاء وكوادر وقيادات حركة حماس، و صدر حكم يقضي بسجن ياسين مدى الحياة إضافة إلى ١٥ عاما أخرى عليه في يوم ١٦ أكتوبر ١٩٩١ وذلك بسبب تحريضه على اختطاف وقتل الجنود الإسرائيليين و تأسيس حركة المقاومة الإسلامية حماس والتى فتحت صفحة جديدة من تاريخ الجهاد الفلسطينى.

حاولت مجموعة فدائية تابعة لكتائب عز الدين القسام - الجناح العسكرى لحماس- الإفراج عن الشيخ ياسين ومجموعة من المعتقلين في السجون الصهيونية بينهم مرضى ومسنين ومعتقلون عرب اختطفتهم قوات صهيونية من لبنان، ، فقامت بخطف جندى إسرائيلي قرب القدس يوم ١٣ ديسمبر ١٩٩٢ وعرضت على إسرائيل مبادلته نظير الإفراج عن هؤلاء المعتقلين، لكن السلطات الإسرائيلية رفضت العرض وقامت بشن هجوم على مكان احتجاز الجندى مما أدى إلى مصرعه ومصرع قائد الوحدة الإسرائيلية المهاجمة واستشهاد قائد مجموعة الفدائيين.

اطلق سراح الشيخ ياسين فى فجر يوم الأربعاء ١/ ١٠/١٩٩٧ وابعد إلى الأردن بعد ثمانية اعوام ونصف من الاعتقال ، بتدخل شخصى من العاهل الأردنى الراحل الملك حسين بن طلال. وكانت عملية فاشلة قام بها الموساد لاغتيال رئيس المكتب السياسى لحماس "خالد مشعل" فى العاصمة الأردنية عمان أثارت غضب الحسين الذى طالب بالإفراج عن الشيخ مقابل إطلاق عميلين للموساد الإسرائيلى تم توقيفهما فى الأردن.

فى ١٣ يونيو ٢٠٠٣، أعلنت المصادر الإسرائيلية أن ياسين لا يتمتع بحصانة وانه عرضة لأى عمل عسكرى إسرائيلى. وفى ٦ سبتمبر ٢٠٠٣ ، تعرض لمحاولة اغتيال إسرائيلية عندما قامت المقاتلات الإسرائيلية من طراز F/16 بإلقاء قنبلة زنة ربع طن على أحد المبانى فى قطاع غزّة، وكان أحمد ياسين متواجداً فى شقّة داخل المبنى المستهدف مع مرافقه إسماعيل هنية، فاصيب ياسين بجروح طفيفة جرّاء القصف. وأعلنت الحكومة الإسرائيلية بعد الغارة الجوية ان أحمد ياسين كان الهدف الرئيسى من العملية الجوية.

تم اغتيال الشيخ أحمد ياسين من قبل الإحتلال الصهيونى وهو يبلغ الخامسة والستين من عمره ، بعد مغادرته مسجد المجمّع الإسلامى الكائن فى حى الصّبرة فى قطاع غزة، وادائه صلاة الفجر فى يوم الأول من شهر صفر من عام ١٤٢٥ هجرية الموافق ٢٢ مارس من عام ٢٠٠٤ ميلادية بعملية أشرف عليها رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق ارئيل شارون .حيث قامت مروحيات الأباتشى الإسرائيلية التابعة لجيش الدفاع الإسرائيلى بإطلاق ٣ صواريخ تجاه المقعد وهو فى طريقه إلى سيارته مدفوعاً على كرسيه المتحرّك من قبل مساعديه، اغتيل ياسين فى لحظتها وجُرح اثنان من أبناءه فى العملية، واغتيل معه ٧ من مرافقيه.

لقد وقفت أمام عملية اغتيال الشيخ أحمد ياسين - رحمه الله - وقفة إجلال وتعمق وتفكير وتدبر، وثارت فى نفسى عدة تساؤلات: ما الذى دفع إسرائيل المحتلة إلى أن تجيش لاغتياله الجيوش،

ويشرف المجرم الإرهابي شارون بنفسه على عملية الاغتيال من بدايتها إلى نهايتها، ثم يهنئ قواته بهذا النصر المبين!!! ولماذا كل هذه المحاولات الواحدة تلو الأخرى لاغتياله؟ حيث كانت المحاولة الأولى التي فشلت، ثم المحاولة الثانية والثالثة إلى أن نجحت؟ لماذا كل هذا مع رجل مشلول منذ أن كان عمره ست عشرة سنة، ويعاني من أمراض خطيرة في العين، والكلى، وغيرهما ؟ إذن أين السر ؟

الجواب هو أن السبب الحقيقي يكمن في أن الشيخ كان يملك إيمانا قويا، وعقيدة لا تتزعزع بالثقة بالله تعالى بالنصر المبين، وبوجوب المقاومة إلى أن يحقق الله تعالى النصر أو الشهادة (إحدى الحسنيين) ثم العمل الجماعي المنظم لذلك من خلال تربية الشباب والشيوخ والنساء والأطفال تربية جهادية قائمة على العزة والكرامة

.

فبعد محاولة اغتياله الفاشلة بحوالي شهر قال: "هؤلاء اليهود لا يعرفوننا لو قتلوا أحمد ياسين فسيظهر مائة شخص مثل أحمد ياسين كل فلسطين أحمد ياسين، وكل المسلمين المجاهدين أحمد ياسين، إنها قضية العقيدة وليست قضية الشخص"، وكان يردد هذا القول: نحن طلاب الشهادة لا نخاف الموت، ولسنا طلاب الدنيا البائسة (نحن نريد أن يرضى الله عنا)".

وحتى صبيحة استشهاده بعد صلاة الفجر قال له بعض المصلين: يا شيخ أحمد: نسمع أزيز الطائرات، فقال لهم: «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا».

فقد غيّر الشيخ أحمد ياسين طريقة الحرب والصراع بين العرب وبين الصهاينة، فقد حاول الآخرون أن يجعلوا الصراع بين العرب واليهود، ثم بين فلسطين واليهود، ثم بين منظمة واحدة واليهود، ثم اختزلت القضية فى مقررات أوسلو، ثم فى خريطة الطريق، ثم أصبحت القضية قضية الجدار العنصرى الفاصل، فى حين أن الشيخ أعاد القضية إلى مسارها الصحيح فجعلها قضية عروبة، صراعا بين الإيمان والكفر، وبين الحق والباطل، بين الظالم والمظلوم، بين جند الله تعالى وجند الشيطان.

وقد ذكرتنى حالة الشيخ أحمد ياسين بما حدث فى عصر الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه عند فتح المدينة المقدسة حيث وجه أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه لفتح المدينة المقدسة، وكان معسكرا فى الجابية، ولما وصله رسول عمر قام أبو عبيدة بتوجيه خالد بن الوليد ومعه خمسة آلاف فارس نحو بيت المقدس ثم أتبعه بخمسة آلاف آخرين بقيادة يزيد بن أبى سفيان، ثم خمسة آلاف بقيادة شرحبيل بن حسنة، واجتمعت الجيوش كلها ولحق بها أبو عبيدة، وضربوا الحصار حول المدينة المقدسة فى أيام برد شديد، حتى استيأس أهل إيلياء من مغالبة الحصار بعد مرور أربعة أشهر، فطلبوا الصلح مع أبى عبيدة على أن يتولى الخليفة عمر بنفسه استلام المدينة ليضمنوا العهد والأمان منه، فأجابهم أبو عبيدة إلى مرادهم وأرسل طالبا إلى الخليفة عمر رضى الله عنه أن يحضر لتسلم المدينة، وجاء وفد أبى عبيدة إلى

المدينة ويصحبتهم وفد من النصارى، فسألوا عن أمير المؤمنين ليبلغوه طلب رؤسائهم، واشتد عجبهم عندما رأوا قائد دولة المسلمين مفترشا الأرض تحت ظل شجرة يحتمى بها من قيظ الحر.

أجابهم عمر وقرر الخروج إلى إيلياء، وكانت لا تزال تسمى بهذا الاسم، ووصل عمر إلى المدينة فى شهر رجب فى السنة السادسة عشرة للهجرة ، ليحرر مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثار الشرك الصليبى، ودخل القدس عن طريق جبل "المُكبر" الذى سمى بهذا الاسم؛ لأن عمر رضى الله لما أشرف على المدينة المقدسة من فوقه كبّر وكبّر معه المسلمون.

وكان عمر رضى الله عنه ممتطيا بعيرا أحمر عليه غرارتان فى إحداهما "سويق" والسويق طعام يتخذ من مدقوق الحِنطة والشعير. وفى الأخرى تمر، وبين يديه قربة مملوءة بالماء، وخلفه جفنة (وعاء) للزاد ، وذكر ابن الجوزى أنه كان يتبادل مع غلام له الركوب على الراحلة. فعندما بلغ الخليفة سور المدينة كان دور الركوب لغلامه، فنزل عمر وركب الغلام وعمر يمسك بخطام (زمام) البعير، فلما رآه المحصورون آخذا بمقود الراحلة وغلامه فوقها أكبروه، بكى بطريك النصارى (صفر ونيوس) وقال: "إن دولتكم باقية على الدهر، فدولة الظلم ساعة، ودولة العدل إلى قيام الساعة".

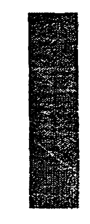
وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على سماحة الإسلام، وقد حزا الشيخ حزو الخلفاء فى سماحتهم وحرصهم على صورة الإسلام فى كل مكان.

سالت الدموع بغزارة من عيون الفلسطينيين بمختلف توجهاتهم حزنا على فراق الشيخ أحمد ياسين زعيم و مؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس.. في حين علت أصوات المساجد مؤبنة هذا الرجل القعيد الذي شهدته ساحاتها خطيبا و داعية و محرضا للناس على الجهاد و المقاومة .

صباح مدينة غزة، لم يكن عاديا هذا الاثنين ٢٢-٣-٢٠٠٣، السماء تلبدت بدخان أسود انطلق من النيران التي اشعلت في اطارات السيارات، و ضج صمتها اصوات القنابل المحلية الصوت الذي اطلقه الفتية.

آلاف الفلسطينيين هرعوا من نومهم غير مصدقين النبأ(نبأ استشهاد شيخ الانتفاضتين (كما كان يطلق عليه أنصار حماس) تجمهروا أمام ثلاجات الشهداء بمستشفى الشفاء بغزة حيث يرقد الشيخ الذي طالما رأوا فيه الأب قبل القائد، و الأخ قبل المقاتل العنيد..

و هناك اختلطت المشاعر، شبان يبكون، و اطفال يهتفون و مجاهدون يتوعدون بالثأر، و شيوخ التزموا الصمت، الا من دموع قد تحجرت في المقل، حزنا على الشيخ الذي يعد أحد أهم رموز العمل الوطني الفلسطيني طوال القرن الماضي.



الفصل الثانى

الختيار



بطاقة شخصية

الاسم بالكامل : محمد ياسر عبد الرؤوف داود سليمان عرفات القدوة الحسينى

اسم الشهرة : ياسر عرفات "أبو عمار"

تاريخ الميلاد : ٤ أغسطس ١٩٢٩

محل الميلاد : القدس

ولد ياسرعرفات "أبو عمار" .. فى القدس يوم الرابع من أغسطس ١٩٢٩ ليكون ترتيبه السادس فى أسرة الأب عبد الرؤوف داوود عرفات القدوة الحسينى والأم زهوة خليل أبو السعود ، وذلك فى منزل فى الزاوية الفخرية،زاوية آل ابو السعود فى الجهة الجنوبية الغربية من الحرم القدسى الشريف.. يلقبه أبناء فلسطين بـ"الختيار"، والختيار هو رجل كبير السن عاقل وحكيم.

نشأ ياسرعرفات في أجواء أسرية حميمة برعاية والده الذى كان يعمل في التجارة متنقلا بين القدس ـ حيث كان يمتلك متجرا للحبوب في سوق خان الزيت ـ وغزة والقاهرة، وأمه زهوة التى كانت تقيم مع زوجها فى القاهرة و تزور القدس فى كل عام ، خاصة فى فترات الولادة جريا على عادة العائلات فى ذلك الوقت، وكانت تقيم مع اطفالها فى منزل شقيقها سليم، وقدانجبت ياسر وفتحي في ذلك البيت،وكانت قد سكنت مع زوجها قبل سفر العائلة إلى مصر فى" الميلوية" وفى" الواد" قرب الحرم القدسي.ورافقت زهوة زوجها عند انتقاله إلى القاهرة التى سافر اليها ليتابع قضية ميراث له من وقف الدمرداش ـ وهو من أكبر الاوقاف فى مصر ـ وعمل عبد الرؤوف فى تجارة القطن فى القاهرة . وكانت زهوة تتردد كثيرا على القدس ومعها ياسر حتى وفاتهاسنة ١٩٣٣ بمرض فى الكلى وياسرما زال دون الرابعة من عمره.

بعد وفاة "زهوة" وبناء على طلب شقيقها سليم، وافق عبد الرؤوف على أن يبقى ياسر وشقيقه الأصغر فتحي ـ الذى ولد فى القدس ايضا قبل أشهرمن وفاة أمه ـ ليعيشافى كنف خاله سليم أبو السعود وزوجته فى القدس.

لم يكن سليم وزوجته قد رزقا بأولاد فأحاطا اليتيمين بالحب والرعاية ،وعاش الولدان معهما أربع سنوات فى القدس، و كانت الأجواء العامة المحيطة بحياتهما فيها أجواء صراع ونزاع ..إحتلال ونضال ومقاومة ..فقد ولد ياسر فى نفس سنة ثورة "البراق"١٩٢٩ ، وعاش طفولته المبكرة ليشهد فى القدس إرهاصات وبدايات ثورة ١٩٣٦ ،ونشأ فى وسط يعج بالمناضلين الوطنيين، الأمر الذى أثر عليه كثيرا ،حتى أن معظم ألعابه كانت تشتمل على بنادق خشبية وتمثيلا لجنود وضباط ، كما قال شقيقه فتحى، الذى يضيف أن ياسر كان يقول له " تعال نلعب لعبة تحرير فلسطين".

وفى القدس تفتحت عيناه على هذه المدينة المحافظة التى تعبق بالتاريخ وتعج بالقداسة فى كل مكان فيها. وتعرف فيها لاحقا الى الحاج أمين الحسينى عن طريق الشيخ حسن أبو السعود.

وفى السابعة من عمره شهد الطفل ياسرعرفات جانبا من أحداث ثورة ١٩٣٦ ، وكغيره من الأطفال ساهم ياسرعرفات فى رشق الحجارة وفى وضع المسامير أمام عجلات الدوريات البريطانية، وكان موجودا عندما دهم جنود الاحتلال البريطانى منزل خاله

سليم واعتقلوه بقسوة وعنف،وتعرض ياسر بنفسه للضرب من الجنود البريطانيين الأمر الذى ترك أثرا كبيرا فى "الطفل" ياسر.

وفى العام التالى انتقل ياسر ليعيش فى كنف والده فى القاهرة.. المحطة التى استقر فيها بعد تنقل فى عمله التجارى بين القدس وغزة والقاهرة خلال السنوات الثمانى الأولى من حياة ياسر ١٩٢٩ -١٩٣٧ ، وكان الأب يصحب ابنه ياسرمعه فى بعض سفراته إلى غزة والقاهرة.

انتقل ياسروشقيقه فتحى بصحبة ابن خالة امهما "راجى أبو السعود" إلى القاهرة فى العام ١٩٣٧ فى رحلة بالقطارمرورا بغزة وخان يونس وسيناء. ولكن علاقة ياسر بالقدس لم تنقطع بعد وصوله إلى القاهرة، وكان خاله يذهب إلى القاهرة لإحضار أبناء وبنات أخته لقضاء الصيف فى القدس فى كل عام ، واستمر ذلك حتى بدايات الحرب العالمية الثانية.

وعاش ياسر مع والده عبد الرؤوف وزوجته نظيرة غزولى وباقى افراد الأسرة "إنعام وجمال ويسرى ومصطفى وخديجة وفتحى ". و نظيرة غزولى مصرية وهى الزوجة الثانية لعبد الرؤوف تزوجها بعد وفاة زوجته الأولى "زهوة".

عاشت الأسرة فى بيت مستأجر بالمبنى رقم ٥ فى شارع طورسينا بحى السكاكينى فى القاهرة ،وكان والد ياسر صارما يفرض انضباطا ونظاما نموذجيين فى بيته..كان رجلا متدينا، يؤدى فروضه الخمسة يوميا ، ويقرأ القرآن بانتظام، وقد علم

أبناءه أصول الإسلام المعتدل، مشددا قبل كل شيء على احترام الآخرين. الأمر الذى ترك بصمات واضحة على شخصية الابناء.

تعلق ياسر خلال سنواته الأولى فى القاهرة بأخته الكبرى إنعام التى كانت تكبره باثنتى عشرة سنة ، وأحبها كأنها أمه ، حتى أن ياسر وبعض رفاقه من "فتح" كانوا يطلقون عليها لقب "أم المؤمنين"، وكان فى طفولته وصباه يقول لها: " نعم سيدى الجنرال" عندما كانت تلومه او تعنفه ، ومن ذلك عندما لامته لأنه هرب من المدرسة ليلحق باصدقائه .

كان ياسر عرفات طالبا فى السنة الأولى فى كلية الهندسة عندما استشهد عبد القادر الحسينى يوم ٧ أبريل ١٩٤٨ فى معركة جبل القسطل بالقدس . وبعد ذلك بيومين فى التاسع من نفس الشهر ارتكبت المنظمتان اليهوديتان المتطرفتان"الأرجون "و"شتيرن" مجزرة دير ياسين حيث قتل الإرهابيون نحو ٣٦٠ شخصا من أهل القرية وكان معظم الضحايا من الأطفال والنساء وكبار السن.

بعد هزيمة الجيوش العربية فى ١٩٤٨ عاد ياسر إلى القاهرة وقد تبدلت أحواله كليا شهد النكبة تحل بشعبه، لامس محنة اللاجئين ، وعاش هزيمة الجيوش العربية غير المنضبطة وسيئة التسليح والتنظيم ،فخرج بنتيجة تقول "لا يمكن للفلسطينيين إلا الاعتماد على قواهم" .

وفى عام ١٩٤٩ عاد ياسر عرفات إلى كلية الهندسة ، ومنذ ذلك الوقت أخذت النشاطات السياسية جل وقته إضافة إلى دراسته الجامعية وعمله كمدرس رياضيات فى مدرسة ليلية لتحمل نفقات دراسته والمساعدة فى نفقات الأسرة التى تراجع وضعها المادى، خاصة بعد أن قررت السلطات المصرية إبعاد الأب عبد الرؤوف فى ١٩٤٩ إلى غزة بحجة انه فلسطينى غيرحائزعلى إقامة دائمة فى مصر.

فى عام ١٩٥٠ أسس ياسر عرفات مع عدد من الطلاب الفلسطينيين رابطة أسموها "رابطة الطلاب الفلسطينيين" وانتخب ياسر عرفات رئيسا لها فى عام ١٩٥١، وتعرف إلى القائدين الثوريين المصريين كمال الدين حسين وخالد محيى الدين فى مؤتمر طلابى كبير عقد فى جامعة الملك فؤاد فى مايو ١٩٥١. وفى المؤتمر القى ياسر عرفات كلمة باسم فلسطين بعد أن أقنع منظمى المؤتمر بإدراج كلمة فلسطين ضمن جدول أعمال المؤتمر، وفيها قال"أيها الزملاء، لا وقت للكلام ولندع الرصاص يتكلم".

وشارك عرفات فى دورة تدريب عسكرى نظمتها الجامعة لمدة ثلاثة أشهر ثم فى دورة صيفية أخرى لمدة شهرين ، وحصل على شهادة ضابط احتياط ، وعين ضابطا مسؤولا عن الإعلام والتدريب لطلاب الهندسة الراغبين والمؤهلين للمشاركة فى الأعمال الفدائية والمقاومة العسكرية ضد البريطانيين فى منطقة

قناة السويس .

فاز ياسر عرفات فى انتخابات رابطة طلاب جامعة القاهرة فى العام ١٩٥٢ واصبح رئيسا للرابطة، وبقى محتفظا بالمنصب حتى نهاية دراسته فى عام ١٩٥٥ .

منذ عام ١٩٥١ أصبح ياسر عرفات معروفا على مستوى الحركة الطلابية العالمية، وشارك فى مؤتمرات طلابية فى عدة دول، مثل بلغاريا ،الاتحاد السوفيتي ،تشيكوسلوفاكيا ، بولندا وألمانيا الشرقية ، وأنشأ خلالها شبكة واسعة من العلاقات والصداقات والتحالفات، وكانت قضيته الأساسية شرح أوضاع شعبه ونضاله الشجاع أمام الرأى العام العربى والعالمى ،والمطالبة بحقوقه السياسية والإنسانية العادلة.

بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ سعى رئيس رابطة طلاب جامعة القاهرة "ياسر عرفات" إلى لقاء الرئيس اللواء محمد نجيب ،وسلمه "عهد وفاء من الطلاب الفلسطينيين"مكتوبا بدمهم وفيه الكلمات"لا تنس فلسطين". ونشرت الصحف المصرية فى اليوم التالى صورة اللواء محمد نجيب يستقبل عرفات، وكانت تلك أول صورة لياسر عرفات فى سلسلة طويلة لاحقة تنشر له مع سياسيين وعظماء.

وفى هذه المرحلة الجامعية تعرف ياسر إلى عدد ممن أصبحوا رفاق دربه فى قيادة الثورة الفلسطينية ومنهم صلاح خلف "أبوإياد"فى القاهرة وخليل الوزير "أبو جهاد" فى غزة فى العام

١٩٥٤ . كان أبو جهاد تلقى تدريبا عسكريا لدى الإخوان المسلمين، وأسس نواة للفدائيين فى قطاع غزة..وكان الفدائيون الذين ينظمهم أبو جهاد ينتمون بشكل اساسى إلى شرائح الطلاب واللاجئين يزرعون الألغام والمتفجرات على طريق دوريات الجيش الإسرائيلى.

وفى يونيو ١٩٥٣ توفى عبد الرؤوف عرفات، والد ياسر، فى منزل إبنته يسرى فى خان يونس إثر نزيف فى المخ. وأخفت أخته خديجة نبأ الوفاة عن ياسرلأنها لم ترغب فى التشويش عليه عشية تقدمه لامتحان مهم فى الهندسة ،كان موعده فى اليوم التالى لتسلمها برقية من شقيقتها يسرى تعلمها فيها بخبروفاة والدهم . وقد قال ياسر فيما بعد: «توفى أبى دون أن يترك لى إرثا ماديا ،ولكنه فى الواقع، أورثنى كنزين : الشجاعة والإيمان الدينى» .

اعتقلت السلطات المصرية ياسر عرفات بعد محاولة اغتيال جمال عبد الناصر على يد جماعة الإخوان المسلمين فى أكتوبر ١٩٥٤ لأنه كان ناشطا طلابيا ويعتبر من المتعاطفين مع الإخوان مع انه لم ينضم اليهم فى أى وقت من الأوقات. ومكث عرفات شهرا فى السجن .

يحكي المقربون منه إنه فى ذات مرة أحرق عرفات مع صديقه حامد أبو ستة كتبهما أثناء اجتماع فى بيت للإخوان المسلمين فى القاهرة، وقررياسر وقتها أن يتوجه إلى فلسطين لحمل السلاح

دفاعا عن أرضه وشعبه.عرفات بشدة بتطورات الأحداث فى فلسطين، بعد أيام وصل ياسر وحامد إلى غزة برفقة ضابط من"الإخوان"، قاتل ياسر مع قوات الإخوان المسلمين التى كانت قدمت من مصر وحاصرت "كيبوتس" كفار داروم بجنوب فلسطين، و "كفار داروم" هي مستوطنة أنشئت على آراضى مدينة دير البلح ضمن مجمع مستوطنات غوش قطيف، على الطريق الرئيسى الواصل بين رفح وخان يونس وغزة وإلى الشرق مباشرة على جانب الطريق العام، على بعد ٥٠٠ متر من دير البلح وعلى بعد ٣ كم شرق البحر المتوسط و٣ كم غرب الخط الأخضر (خط الهدنة)... ثم انضم إلى "جيش الجهاد المقدس " وعين ضابط استخبارات فيه .

تخرج ياسر من الجامعة فى عام ١٩٥٥ ، وعقب تخرجه أسس "رابطة الخريجين الفلسطينيين". ثم التحق عرفات بالجيش المصرى فور اندلاع حرب السويس فى ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦ "العدوان الثلاثي" كضابط احتياط في وحدة الهندسة المتمركزة فى منطقة بور سعيد، واستخدم ياسركل معلوماته ومخزونه من التدريبات التى تلقاها قبل عام فى معسكر للجيش المصرى.

تغير الجو السياسى فى مصر بعد انتهاء حرب السويس ١٩٥٦ وفشل العدوان الثلاثى فقد أعاد بن جوريون سيناء وقطاع غزة لعبد الناصر، و أصبحت السلطات العسكرية المصرية تراقب بحزم

التيارات الفلسطينية "الراديكالية"، فقررياسرعرفات السفرإلى الكويت حيث توفر الثروة النفطية فيها العديد من فرص العمل، وفيها جالية مهمة من فلسطينيي الشتات (الآلاف من اللاجئين الذين يعملون فى شتى المهن).

استقرعرفات في الكويت عام ١٩٥٧وعمل فى البداية مهندسا في وزارة الأشغال العامة، ثم تشارك مع رجل أعمال هوالمهندس المصرى عبد المعز الخطيب وأنشأمعه شركة للبناء نجحت بشكل كبير فتحسنت أوضاعه المادية كثيرا، لكنه كان أيضا يكرس الكثيرمن وقته لنشاطاته السياسية السرية.وفى أواخر عام ١٩٥٧عقد لقاء في الكويت ضم ستة أشخاص هم : (ياسر عرفات وخليل الوزير وعادل عبدالكريم ويوسف عميرة وتوفيق شديد وعبد الله الدنان"، والأخير هذا لم يشارك فى الاجتماعات اللاحقة ثم تبعه توفيق شديد فى الانقطاع عن حضور الاجتماعات التاسيسية للحركة ،وكانت تلك الاجتماعات هى اللبنات المؤسسة للحركة وفى اللقاء التأسيسى الأول لحركة (فتح) ، صاغ المؤسسون ما سمى (هيكل البناء الثورى) و(بيان حركتنا) واتفقوا على اسم الحركة كما يقول عرفات: "هى حركة التحريرالوطنى الفلسطينى واختصارها "حتوف"، وهى كلمة ليست مناسبة، حذفنا الواو فأصبحت "حتف" وهى ليست مناسبة لأن شعارنا ثورة حتى النصر وليست ثورة حتى الاستشهاد، ولذلك قلبنا الحتف فصارت"فتح".. "ثورة حتى النصر المبين "

وكان الهدف بسيطا ولا ينطوى على أية اعتبارات اجتماعية أو إيديولوجية، فقد اقتصرعلى "تحرير فلسطين عن طريق الكفاح المسلح". لقد ملَّ الفلسطينيون من الخطابات: " نحن الفلسطينيين نريد دولة مستقلة وذات سيادة، ولهذا يتوجب علينا أن نحررها بالقوة. لا يوجد طريق آخر أمامنا".

وبمبادرة من "الختيار" ياسرعرفات وخليل الوزير تم إصدار صحيفة شهرية فى أكتوبر ١٩٥٩ هى "فلسطيننا - نداء الحياة" التى طبعت ووزعت فى لبنان ودول الخليج العربية والجزائر ،لكنها كانت توزع سرا بين الفلسطينيين فى سورية ومصر والأردن والضفة الغربية وقطاع غزة والعراق . ولإدراكه للدور الذى يجب أن تلعبه المنظمات الطلابية أسس عرفات الإتحاد العام لطلاب فلسطين فى ٢٩نوفمبر من العام نفسه.

قامت مجلة (فلسطيننا) بمهمة التعريف بحركة فتح ونشر فكرها ما بين "١٩٥٩ - ١٩٦٤" واستقطبت من خلالها العديد من أعضاء المجموعات التنظيمية الثورية الأخرى ، فانضم فى تلك الفترة كل من عبد الفتاح حمود ،صلاح خلف ،محمود عباس ،ماجد أبو شرار ،سليم الزعنون، أحمد قريع، فاروق قدومى، صخر حبش، هانى الحسن، هايل عبد الحميد، يحيى عاشو، زكريا عبد الحميد، سميح أبو كويك، وعباس زكى وغيرهم الكثير إلى صفوف الحركة الناشئة .

واصل عرفات ورفاقه فى "فتح" نشاطاتهم وتحركاتهم

واتصالاتهم تحضيرا لبدء مرحلة الكفاح المسلح. وفى اجتماع عقد بالكويت فى فبراير ١٩٦٣ انتخب فيه الأعضاء العشرة للجنة المركزية لحركة "فتح"،كان عرفات فى طليعتهم و متحمساً لانطلاق الكفاح المسلح، ولكنه كان يشكل مع مؤيدى هذا الرأى أقلية .. فقد وقفت الأغلبية مع خالد الحسن "المعتدل"، المؤيد لفكرة التريث،على أمل الحصول على دعم البلدان العربية.

وفى غضون ذلك عقد جمال عبد الناصرفى القاهرة أول مؤتمر قمة عربية فى يناير من عام ١٩٦٤، ومن ضمن ما تمخضت عنه القمة قرارا ينص على " دعم الكيان الفلسطينى" على الصعيدين السياسي والعسكرى من خلال إنشاء مؤسستين هما: منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطينى.وتم اختيار أحمد الشقيرى ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية لمتابعة القرار، ودعا الشقيرى إلى عقد المؤتمر التاسيسى لمنظمة التحرير. المجلس الوطنى الفلسطينى- من (٢٨ مايو إلى ٢ يونيو ١٩٦٤) فى القدس، التى كانت خاضعة للسيادة الأردنية منذ جرى ضم الضفة الغربية إلى المملكة الأردنية الهاشمية فى عام ١٩٤٩ .

حضر ياسرعرفات وخالد الحسن المؤتمر كممثلين عن الفلسطينيين فى الكويت وكمال عدوان ممثلا للفلسطينيين فى قطر، وأحمد أبو ستة ممثلا للفلسطينيين فى القاهرة.. وخليل الوزير ممثلا للفلسطينيين فى الجزائر. وخرج المؤتمر بوثيقة مهمة بالنسبة للرأى العام الفلسطينى هى: "الميثاق القومى الفلسطينى" الذى عدله

الفدائيون فى عام ١٩٦٨ وأصبح يسمى: "الميثاق الوطنى الفلسطينى".

بعد دخول المشروع الإسرائيلى لتحويل مياه نهر الاردن حيز التنفيذ فى صيف ١٩٦٤ حاول عرفات تسريع البدء فى الكفاح المسلح. اتصل بالجزائريين، الذين وعدوه بتدريب مقاتليه، وبالصينيين، الذين وعدوه بالأسلحة. ثم اتجه نحو البعثيين السوريين، وفتحت دمشق أبوابها لعرفات و"فتح" لتصبح سورية البلد الثانى الذى يستقبل مكتبا لـ"فتح" بعد الجزائر. وتصدرت مسألة التزود بالسلاح اهتمامات ياسر عرفات فى هذه المرحلة. واعتقل عرفات فى سورية اثناء قيامه بنقل أصابع ديناميت من لبنان إلى الأردن. وتدخل رجل الإرتباط بين " فتح" والسلطات السورية وهو العقيد أحمد السويدانى، رئيس الإستخبارات العسكرية السورية ـ المؤيد المتحمس للعمليات الفدائية ـ للافراج عن عرفات، وكان هذا الضابط أقام اتصالا دائما بعرفات، المقيم فى بيروت آنذاك فى معظم الأحيان .

كما اقامت" فتح" سرا عددا من وحدات تصنيع القنابل الصغيرة فى الضفة الغربية .. وتواصلت العمليات الفدائية بعد ذلك، وعندما ضغطت مشكلة تأمين الموارد المالية على "فتح" قام ياسرعرفات بتصفية أعماله فى الكويت للمساعدة فى تمويل الحركة، وانتخب قائدا عسكريا للحركة بعد أن اضطر أبو يوسف النجار إلى ترك موقعه ليعمل من أجل تامين نفقات أسرته كثيرة

العدد.

وتعززت علاقات عرفات خلال العامين ١٩٦٥.١٩٦٦ مع القيادة السورية، وعندما وقع انقلاب الراديكاليين البعثيين فى دمشق فى فبراير ١٩٦٦ زادت متانة العلاقات بين السلطات السورية و" فتح "، وقدم حافظ الأسد الذى كان قائدا للقوات الجوية حينها دعما عسكريا كبيرا للحركة "تسليحا وتدريبا"، وكذلك إعلاميا حيث أصبحت إذاعة فلسطين من دمشق هى التى تبث بلاغات وبيانات "العاصفة"، والعاصفة هو اسم أول جناح عسكرى لحركة فتح، والذى إنطلق فى ١٩٦٤/١٢/٣١، و كان ياسرعرفات هو الذى يحمل هذه البيانات والبلاغات مباشرة إلى المسؤول عن الإذاعة. ولكن شهر العسل لم يدم طويلا بين الجانبين ..فقد كان السوريون يرفضون أن يقوم الفدائيون بأى نشاط دون موافقتهم، وهذا يتعارض مع النزعة الاستقلالية التى كانت "فتح" تصر عليها . وهكذا اعتقل ياسر عرفات لأيام لأن دمشق اشتبهت فى اشتراكه بعملية تخريب خط الأنابيب الذى ينقل النفط.من السعودية عبر سورية والأردن .ثم اعتقل عرفات وخليل الوزير وعشرة آخرين من مناضلى "فتح" بعد مقتل يوسف عرابى البعثى الفلسطينى والذى كان ضابطا فى الجيش السورى .

وكبادرة حسن نية تجاه دمشق قررت "فتح" تعليق نشاط الذين اعتقلوا .لكن ياسر سرعان ما أقنع قيادة الحركة باستئناف نشاطه للقيام بعملية فدائية ضد إسرائيل .غيرأنه اعتقل مع مجموعته

على يد قوات الأمن البنانية لمدة ثلاثة أسابيع .

وتصاعدت وتيرة العمليات الفدائية فى عام ١٩٦٦ خاصة تلك التى تنطلق من أراضى الضفة الغربية التى كانت خاضعة للسيادة الأردنية. ومع تحسن العلاقات بين مصر وسورية استفادت "فتح" من ذلك واصبحت إذاعة القاهرة وإذاعة صوت العرب تبثان بلاغات "العاصفة" إضافة إلى إذاعة دمشق .

وفى ٢١ مارس ١٩٦٨ تلقى ياسر عرفات ما أسماه" هدية من السماء" فقد انفجر لغم على طريق مدينة إيلات أدى إلى مقتل طالبين إسرائيليين وجرح ثلاثين آخرين، فقررت إسرائيل الرد بعملية انتقامية كبيرة. كان الهدف قرية الكرامة فى الأردن، التى يقيم عرفات مقر قيادته فيها وحيث تتحصن"فتح".

حشدت إسرائيل قوات كبيرة من المشاة والمظلات والدبابات والطائرات. كان الهدف بالنسبة لإسرائيل ليس فقط القضاء على الفدائيين و تدمير معسكراتهم وبنيتهم التحتية،بل أيضا القضاء على ياسرعرفات، بأى ثمن.

لم يباغت الطرف الفلسطينى بهذه العملية، فقد ألقت طائرات إسرائيلية" منشورات" على الكرامة تدعوا المقاتلين إلى الإستسلام، وكان الفلسطينيون يرون على الجهة المقابلة من نهر الأردن القوات الإسرائيلية وهى تتهيأ للهجوم .ولكن القيادة الفلسطينية اتخذت قرارابالصمود ومواجهة القوات الإسرائيلية وقتالها باقصى قوة.

شارك الطيران الإسرائيلي بكثافة في تلك العملية،وألقى ١٨٠ طنا من القنابل ونحو مئة صاروخ. أوقعت العملية ١٢٨ شهيدا وعشرات الجرحى في الجانب الفلسطيني، ووقع في الأسرالإسرائيلي ١٥٠ فدائيا، وانضمت وحدات من الجيش الأردني للقتال إلى جانب الفدائيين، وسقط ٦١ شهيدا ونحو مئة جريح من افراد الجيش الأردني .

وفي الجانب الإسرائيلي، خسرالجيش طائرة،واضطر إلى ترك أربع دبابات في أرض المعركة، بالإضافة إلى مقتل ٣٠ جنديا وجرح نحو ٨٠ آخرين.

وكانت وحدة خاصة من قوات المظلات مكلفة، إلى جانب مهمتها منع الفدائيين من الإنسحاب، بملاحقة عرفات على وجه الخصوص. غير أن الخطة التي أعدت للإمساك به أو اغتياله فشلت .

برغم فداحة الخسائرالفلسطينية والأردنية إلا أن المعركة سجلت تحولا مهما، فقد كبد الفلسطينيون الإسرائيليين فشلا رمزيا، وقد أدركوا هذا الأمر جيدا. لقد تحطمت اسطورة الجيش الذي لايقهر. وتحولت جنازة الفدائيين الشهداء في عمان إلى تظاهرات عارمة شارك فيها أكثر من ٦٠ ألف شخص.

وقال عرفات أمام حشد من مقاتليه:"هؤلاء هم أبناء اللاجئين الذين كانوا يتسولون من الأونروا كيس طحين وحفنة فاصولياء ولحافا، قد تحولوا إلى مقاتلين، يسطرون أمام أعين العالم

العربى تاريخ فلسطين."

هذه العملية التى أعادت الكرامة إلى الفلسطينيين، شجعت آلاف الشبان على الإنضمام إلى الحركة وأصبح من الصعب على "فتح" أن تستوعب الأعداد الهائلة من المتطوعين للعمل الفدائى فلسطينيين وعربا وآخرين ... وتدفقت التبرعات .. نقود، ثياب، طعام ... وقررت قيادة "فتح"، وللمرة الأولى، أن تخرق قانون السرية وأن تكشف عن اسم أحد قادتها.

ونشرت بعد نحو ثلاثة أسابيع على معركة الكرامة يوم ١٤ أبريل بيانا مقتضبا فى دمشق أعلنت فيه تعيين ياسرعرفات متحدثا رسميا باسم الحركة، وفي بداية شهر أغسطس من نفس السنة صدق المؤتمر العام لحركة" فتح" الذى عقد فى سورية على تعيين ياسرعرفات ناطقا وممثلا رسميا وقائدا عاما لقوات العاصفة ، وعلى تعيين خليل الوزيرنائبا له... وبعد معركة الكرامة ازدادت مكانة عرفات علوا وشاع اسمه فى العالم أجمع.

فى نهاية ١٩٦٩ ، نشرت مجلة "تايم" الأمريكية صورته على الغلاف، ومنحته لقب "رجل العام ". أصبح هذا " الجيفارا" الجديد "ياسر عرفات بكوفيته الشهيرة" بطلا فى نظر شعوب ومناصرى قضايا العالم الثالث، واليسار، والثوريين فى أوروبا وباقى أنحاء العالم .

وفى القمة العربية الخامسة التى عقدت فى الرباط "٢١-٢٣ديسمبر ١٩٦٩" تكرست مكانة عرفات ومنظمة التحرير

الفلسطينية على الساحة العربية والدولية، واحتفت به القمة احتفاءها بالأبطال ، استقبله رئيسها العاهل المغربى الملك الحسن الثانى فى المطار وكرمه كما يكرم زعماء الدول، واستقبلته الجماهير في الشوارع بحفاوة بالغة ،ولأول مرة وضع مقعد رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير فى الصف الأول على قدم المساواة مع رؤساء وملوك الدول العربية الأخرى، ومنحت المنظمة حق التصويت في القمة.

شعر شارون بأن المعطيات الأمريكية والعالمية الجديدة تعطيه الفرصة - التى يتوجب عليه استغلالها- لإكمال مخططه ضد عرفات. فأعلنت إسرائيل يوم ٢٠٠١/١٢/٨ أن قرار مغادرة الرئيس عرفات لمدينة رام الله خاضع لها وحدها ،لتبدأ مرحلة محاصرة الزعيم الفلسطينى (الختيار) فى رام الله . وبعد خمسة أيام وتحديدا فى ٢٠٠١/١٢/١٣ تحركت أليات عسكرية إسرائيلية بينها دبابات حول مقر عرفات، وقرر شارون منعه من الخروج إلى أية مدينة أخرى، وفى ذات الوقت قصفت الطائرات الإسرائيلية مقر الرئاسة في "المنتدى" بغزة .ولأول مرة منذ قيام السلطة الوطنية منع عرفات من التوجه إلى مدينة بيت لحم لحضور احتفالات عيد الميلاد فى ٢٤- ٢٠٠١/١٢/٢٥ .

ثم بدأ حصار مقر عرفات يأخذ شكلاً تصعيدياً وبدأت الدبابات تقترب من المقاطعة فى رام الله ثم تنسحب لتعود إليها بعد

ساعات، وظل عرفات كعادته يستقبل كبار الزوار والوفود الدولية والمساعدين والمواطنين في مقره المحاصر.

وفى ٢٠٠٢/٣/٢٦ عقدت القمة العربية فى بيروت دون أن يتمكن عرفات من حضورها لأن شارون هدد بأنه لن يسمح له بالعودة إلى الأراضى الفلسطينية .

وعند الساعة الخامسة فجر ٢٩ مارس حاصرت القوات الإسرائيلية عرفات ومعه ٤٨٠ شخصا داخل المقاطعة وبدأ الجنود والآليات العسكرية الإسرائيلية بإطلاق النار والقذائف فى جميع الاتجاهات ،وأكد شارون ان العملية ضد عرفات ستستمر .

ومن مقره المحاصر و الذى قطعت عنه الماء والكهرباء، قال عرفات معلقا: "هذا هو الرد الإسرائيلى على القمة العربية التى تبنت مشروع سلام. إسرائيل تريدنى سجينا، أوقتيلا أو أسيرا. أقول لهم: لا، سأكون شهيدا، شهيدا، شهيدا! ... هل حياتى أغلى من حياة مواطن فلسطينى بسيط، أو من حياة طفل فلسطينى؟ " ووجّه نداءً إلى الشعوب العربية والإسلامية وإلى كل المسيحيين فى العالم أجمع قال فيه: "يجب الدفاع عن الأرض المقدسة"!

وفى اليوم التالى هددت القوات الإسرائيلية عبر مكبرات الصوت بقصف المقاطعة اذا لم يسلم "المطلوبون داخل المقر أنفسهم خلال ربع ساعة."

أطلقت الدبابات الإسرائيلية النار من وقت لآخر على مبانى

المقاطعة، وفجأة وسط هدير مروحيات الأباتشى، انهمرت القذائف وزخات الرصاص على مقر عرفات بغزارة، غير أنه خرج سالماً، بينما جرح ثلاثة من حراسه، كانوا فى غرفة مجاورة.

أصر عرفات على ألا يميزوه عن باقى المحاصرين معه بشىء، كان ينام كما ينام الآخرون ..على فرشة خفيفة تفرش على الأرض مباشرة. وفى اليوم العاشر فقط سمح الجيش الإسرائيلى للهلال الأحمر الفلسطينى بإدخال أول دفعة غذاء.

و حرص المقربون من عرفات على أن يتناول الرئيس خضارا لأسباب طبية، وتمكنوا من الحصول على أدويته الضرورية. بعد ثلاثة أسابيع من بداية الحصار خضع عرفات لفحص طبى على يد طبيبه الخاص، الدكتور أشرف الكردى، الذى جاء برفقة وزير الخارجية الأردنى مروان المعشر لزيارة عرفات. وبعد إجراء فحص كامل، أكد أن عرفات، الذى نحف مثله مثل الآخرين، بصحة جيدة ومعنوياته مرتفعة جدا، وأن جهازه العصبى يعمل جيدا، رغم ما يعانيه من نقص فى النوم. وأضاف الطبيب: "يمكن لصحة الرئيس أن تتدهور، بسبب نقص الأوكسجين فى المبنى المغلق".

وبعد ضغوط من ولى العهد السعودى ـ وقتذاك ـ الأمير عبد الله بن عبد العزيز طلب الرئيس الأمريكى ـ وقتذاك ـ جورج بوش من شارون رفع الحصار عن عرفات لكن شارون ماطل واضطر للاستجابة بعد تهديد مستشارة الأمن القومى الأمريكى

كوندوليزا رايس لشارون بعواقب رفض طلب بوش، فانسحب الجيش الإسرائيلى من المقاطعة ليلة ١ /٢ مايو ٢٠٠٢ بعد تفجير آخر مبنى فيها. ووصف عرفات حينها الجنود الاسرائيليين بأنهم "ارهابيون " و"نازيون"... لم يكن رفع الحصار كاملا فقد حظر شارون على عرفات مغادرة الأراضى الفلسطينية إلا إذا قرر عدم العودة اليها.

وبعد شهر تقريبا اجتاح الجيش الإسرائيلى رام الله مجددا إثر عملية "مجدو" التى تبنتها حركة" الجهاد "يوم ٥ يونيو ٢٠٠٢ وهاجم الجيش الإسرائيلى مقر عرفات بوحشية، ولم تسلم من الرصاص غرفة عرفات الذى لم يصب بأذى لكن أحد حراسه استشهد وأصيب سبعة آخرون .

خلال الأسبوع الأول من مارس ٢٠٠٤ حاصرت قوات الاحتلال المقاطعة مرتين فى الوقت الذى كان فيه شارون يعد خطة الانفصال عن غزة وكان يتباحث مع الأمريكيين بشأنها ،وكانت قوات الاحتلال تنفذ هجمات واسعة خاصة فى قطاع غزة ما اسفر عن سقوط عشرات الشهداء ومئات الجرحى، فطالب عرفات يوم ١١من الشهر نفسه اللجنة الرباعية الدولية بالتدخل" لوقف الجرائم الاسرائيلية التى لا يمكن القبول بها ". وأكدعرفات بعد ذلك ان الشعب الفلسطينى لن يتخلى ولن يتراجع عن أهدافه ، فطالب فى اليوم ذاته رئيس لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست "يوفال شتيانتيس" بطرد ياسر عرفات إلى تونس. وفى اليوم التالى ألمح

رئيس أركان الجيش الإسرائيلى الجنرال "موشى يعلون" إلى أن الاغتيال يقترب من ياسر عرفات .

كان عرفات يواصل عمله ونشاطه فى مقره بالمقاطعة ..يستقبل ويودع الزوار والوفود :ويعقد الاجتماعات مع مسؤولين ومساعدين .. بقى عرفات محور العمل السياسى الفلسطينى ولم تنجح كل محاولات إسرائيل لعزله.

وبدأت "الحرب الصحية" تتصاعد على الرئيس ياسر عرفات يوم ٤ أبريل حيث نقلت القناة الثانية فى التلفزيون الاسرائيلى نبأً عاجلا مفاده ان الرئيس عرفات اصيب بجلطة دماغية، بينما كان فى الواقع يقوم بعمله بشكل طبيعى فى المقاطعة فى رام الله. وقال صحفى أجنبى وقتها انه رصد خلال الأشهر الخمسة التى سبقت (١٠) تقارير صحفية عن تدهور صحة عرفات، وعندما تحقق من مصادرها وجدها جميعا إسرائيلية الأصل .. وبالطبع كانت كلها عارية من الصحة وبلا أساس .

فى يوم ٧ ابريل قال رئيس الوزراء الفلسطينى أحمد قريع فى تصريحات فى القاهرة انه يجب التعامل بجدية مع التهديدات الاسرائيلية باغتيال عرفات بعد أن كان شارون صرح قبل يومين على ذلك بانه لا يضمن سلامة عرفات . وجاءت الاشارة القوية يوم ٢٠٠٤/٤/١٤ حين أخبر شارون الرئيس الأمريكى جورج بوش - حسب الكاتب الإسرائيلى "اورى دان" وهو أحد المقربين لآرييل شارون ومؤتمن أسراره - بانه لم يعد ملزما أكثر بالوعد

الذى قطعه له حسب طلبه فى مارس ٢٠٠١ والذى تعهد فيه بعدم المس جسديا بعرفات ،فرد عليه بوش وقال: "من الأفضل أن نترك مصير الرجل فى يد رب السماء"، فقال له شارون : "رب السماء يحتاج فى بعض الأوقات إلى مساعدة"!! .

وبعد اغتيال إسرائيل للزعيم الجديد لحركة حماس عبد العزيز الرنتيسى فى ٢٠٠٤/٤/١٧ بستة أيام وجّه شارون تهديداًجديداًإلى عرفات، معتبراً أن الرئيس لم يعد يتمتع بأية "حصانة"... وقال شارون "وعدت قبل ثلاث سنوات الرئيس الأميركى جورج بوش بعدم المساس بعرفات، إلا أننى لم أعد ملزماً بهذا الوعد، والأخير لم يعد يستفيد من أية حصانة".

فى يوم الثلاثاء ١٢أكتوبر ٢٠٠٤ ظهرت أولى علامات التدهور الشديد على صحة الرئيس ياسرعرفات، فقد أصيب الرئيس بمرض فى الجهاز الهضمى حسب تشخيص الأطباء. وقبل ذلك بكثير، عانى عرفات من أمراض مختلفة، منها نزيف فى الجمجمة ناجم عن حادث الطائرة، ومرض جلدى (فتيليغو)، ورجعة عامة عولجت بأدوية فى العقد الأخير من حياته، والتهاب فى المعدة أصيب به منذ أكتوبر ,٢٠٠٣

لكن وضعه الصحى العام كان جيدا قبل التدهور الاخير الذى بدأت بوادره فى السنة الأخيرة من حياته حين تم تشخيص جرح فى المعدة وحصى فى كيس المرارة. ولكن الحالة الصحية لأبو

عمار تدهورت تدهورا سريعا يوم الأربعاء ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٤. وتدفق آلاف المواطنين الى مقر المقاطعة، للاطمئنان على صحة الرئيس، فيما خرجت مسيرات حاشدة فى عدة مدن بالضفة والقطاع تعبيرا عن قلقها على صحة عرفات.و عالميا، قطعت وسائل الاعلام العالمية المرئية والمسموعة، برامجها العادية، وبدأت ببث تقارير مستعجلة ومباشرة من مقر المقاطعة لمتابعة التطورات التى حدثت على صحته.

جاءت نتائج جميع الفحوص الأولية التى أجريت لعرفات مطمئنة نسبيا، لكن استجابته للعلاج كانت محدودة. ورأى الأطباء ضرورة نقله إلى الخارج للعلاج، قرر الاطباء بمن فيهم أعضاء الوفد الطبى المصرى والوفد الطبى التونسى الذين حضروا للمساهمة فى علاج الرئيس ـ نقله إلى فرنسا للعلاج. ووافق الرئيس ياسر عرفات على قرار الأطباء بعد تلقى تأكيدات أمريكية وإسرائيلية بضمان حرّية عودته للوطن.

ونقلته طائرة مروحية إلى الأردن ومن ثمة أقلته طائرة أخرى إلى مستشفى "بيرسى" العسكرى فى كلامار قرب باريس فى فرنسا فى ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٤ حيث أجريت له العديد من الفحوصات والتحاليل الطبية.

وكانت صدمة للشعب الفلسطينى حين ظهر الرئيس العليل على شاشة التلفزيون مصحوبا بطاقم طبى وقد بدت عليه معالم الوهن. وتزايد الحديث فى أوساط عديدة عن احتمال تعرض

عرفات للتسميم، وقال أحد المسؤولين الفلسطينيين : "الأطباء يبحثون أيضا في احتمال إصابة عرفات بعدوى فيروسية أو تسمم".

وكان شارون يستعجل غياب عرفات ودعا الفلسطينيين في نفس اليوم إلى اختيار قيادة جديدة يكون نهجها مغايرا لنهج عرفات.. ومواصلا تمسكه بنهجه المتطرف تجاه خصمه القديم قال شارون: "حتى لو مات عرفات سأرفض أى طلب لدفنه فى القدس". وأضاف شارون: "ما دمت هن ا. وأنا لا انوى الرحيل قريبا ـ فلن يدفن عرفات فى القدس".

ومن مفارقات القدر أن يمر ١٤ شهر على هذا التصريح الذى أطلقه شارون ليأتى يوم الإربعاء ٤ يناير ٢٠٠٦ ليصاب مجرم الحرب شارون بجلطة سببها نزيف دماغى حاد سبب له فقدان وعيه.حيث أدخل إلى مستشفى "هداسا عين كرم" فى القدس حيث أجريت له عملية أولى دامت ٦ ساعات. ورغم استقرار حالته الصحية نتيجة العملية، فلم يعد شارون إلى وعيه. منذ ذلك الحين وحتى الآن رغم مرور حوالى أربع سنوات، اضطر الأطباء إلى إعادته لغرفة العمليات بضع مرات بعد أن اكتشفوا وجود مناطق أخرى فى الدماغ تعاني من النزيف، ومشاكل طبية أخرى. وفى ٢٨ مايو ٢٠٠٦ نُقل إلى مستشفى "شيبا" فى رمات غان بتل أبيب، وفى مقابلة صحفية مع إذاعة "غالى تساهل" فى ١٧ سبتمبر ٢٠٠٨ قال الطبيب المسؤول عنه إنه فى حالة "الوعى

الأدنى" حيث يحس بالألم ويرد رداً أساسيًا على سماع صوت أقربائه، ولكنه ما زال فى حالة خطيرة دون أن يطرأ تحسن ملموس فى حالته الصحية منذ نقله إلى المستشفى!!

وفى صباح ٢٠٠٤/١١/٣ أشار تقرير "بيرسى" العسكرى الذى يرقد فيه الختيار إلى "أن الفحوصات أكدت وجود مشاكل فى الدم (تكسر الصفائح فى الدم) ما يبعد فرضية الاصابة بسرطان الدم".

صباح اليوم التالى تغيرت الأجواء وجاءت التقاريرمقلقة مع حدوث تدهور مفاجىء أدى إلى نقل عرفات إلى غرفة العناية المركزة. ووسط مجموعة أخبار بثتها وسائل إعلام إسرائيلية عن وفاة الرئيس تولدت حالة من البلبلة والإرتباك استمرت ساعات طويلة قبل أن يخرج ناطق باسم المستشفى الفرنسى ليعلن أن الرئيس عرفات ما زال حيا.

وكان مصدر طبى فرنسى قال فى نفس اليوم إن الرئيس عرفات"فى حالة غيبوبة قابلة للعودة"وأوضح المصدر الطبى أن عرفات "لم يمت وهو موصول إلى أجهزة حيوية". وأجمعت تصريحات المسؤولين الفلسطينيين على أن عرفات "فى وضع صعب" ومنهم من وصف حالة الرئيس بـ "الحرجة جدا".

وبقى وضع عرفات مستقرا وخطرا يوم السبت ١١/٦، وشعر الفلسطينيون بالقلق..راحوا يصلون من أجل ختيارهم "أبو الأمة الفلسطينية"كما أسماه لاجئون من المخيمات فى لبنان. واصل

ياسر عرفات صراعه مع المرض، لكن بات واضحا للجميع أن الرجل الذى نجا من عشرات محاولات الاغتيال والقصف المباشر وصارع الأهوال فى حياته يوشك على الانتقال إلى الرفيق الأعلى. تجمع المئات من الفلسطينيين والفرنسيين أمام مستشفى بيرسى ونظمت تجمعات ومسيرات وصلوات فى أنحاء العالم حبا وقلقا وطلبا للشفاء .

وفى اليوم الثامن من الشهر توجه وفد فلسطينى يضم محمود عباس وأحمد قريع ونبيل شعث وروحى فتوح من رام الله إلى باريس لمتابعة الوضع الصحى للرئيس عرفات وللاطلاع على التفاصيل التى لم تكن متاحة بموجب القانون الفرنسى الذى ينص على سرية المعلومات الطبية للمريض، وعلى إعطائها فقط لأقرب شخص فى أسرته ، وكانت زوجته سهى هى الأقرب قانونيا.

وبعد اجتماع الوفد الفلسطينى مع الرئيس الفرنسى - آنذاك - جاك شيراك تأكدت الأنباء المقلقة وأصبح من الواضح أن عرفات فى وضع صعب وأنه يقضى ساعاته الأخيرة.

وكانت التقارير عن وفاته تظهر بين ساعة وأخرى منذ نقل إلى المستشفى بفرنسا ، لكن وكأنه كان يتمهل فى الرحيل ليتقبل شعبه باقل قدر من الفجيعة نبأ رحيله، ظل يصارع مرض موته إلى أن أسلم الروح لباريها فى الساعة الرابعة والنصف من فجر الخميس الحادى عشر من نوفمبر ٢٠٠٤, وأكد الشيخ التميمى

أن الرئيس مات بينما كانت الاجهزة موصولة بجسده وأن هذه الأجهزة هي التى أبلغت بتوقف النبض والتنفس بانه استشهد.

رحل عرفات عن الدنيا فعم الحزن فلسطين وأنحاء كثيرة من العالم مع انتشار الخبر .. ونعته القيادة الفلسطينية والرئيس الفرنسي والامم المتحدة وقادة الدول العربية ومعظم دول العالم .وأعلن الحداد فى فلسطين ٤٠ يوما كما أعلن الحداد فى الدول العربية والاسلامية وعدد آخر من دول العالم وفى الامم المتحدة.

وما زاد فى فاجعة الفلسطينيين علاوةعلى غياب زعيمهم و"والدهم" أنهم لم يتمكنوا من الوقوف على حقيقة سبب الوفاة، خاصةوانهم متأكدون بان فى إسرائيل من لم يكن ليتورع عن أى شيء للقضاء على "المزعج" عرفات و لإزالة أبو "الرقم الصعب" فى معادلة الشرق الأوسط .

المشهد الأخير

ودعت فرنسا يوم ٢٠٠٤/١١/١١ جثمان الرئيس ياسر عرفات الذى كان ملفوفا بالعلم الفلسطينى فى مراسم رسمية مهيبة، وحمله حرس الشرف على الأكتاف ،وقام الرئيس الفرنسى جاك شيراك بتقديم العزاء شخصيا لأسرة وأقارب عرفات وللمسؤولين الفلسطينيين الذين تواجدوا فى باريس. وأقلت طائرة حكومية فرنسية جثمان عرفات إلى القاهرة.

وفى القاهرة أقيمت جنازة عسكرية مهيبة تكريما لعرفات بمشاركة وفود رسمية من ٦١ دولة وبحضور حشد من القادة العرب والمسؤولين العرب والاجانب. واستغرقت مراسم تشييع الزعيم الفلسطينى فى القاهرة قرابة الساعتين .

كما شاركت وفود وشخصيات فلسطينية من مختلف الفصائل.واقيمت صلاة الجنازة على روح عرفات فى مسجد نادى الجلاء وأمها شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوى.وعقب الصلاة تجمع المشيعون العرب والاجانب فى سرادق أقيم داخل النادى حيث تليت آيات من القرآن الكريم ،وتلقى الوفد الفلسطينى الرسمى العزاء لينطلق بعدها موكب جنائزى مهيب تقدمه الرئيس المصرى حسنى مبارك وعدد من القادة العرب لتشييع الجثمان استغرق قرابة نصف الساعة،وانتهى فى مطار ألماظة العسكرى الواقع على بعد بضع مئات من الأمتار من نادى الجلاء .ووضع جثمان عرفات فوق عربة مدفع تجرها الخيول،وأحاط بالجثمان حملة الأوسمة والنياشين التى حصل عليها عرفات يتقدمهم رجال حرس الشرف وهم يحملون السيوف وباقات الزهور ،فيما كانت فرق عسكرية تعزف موسيقى جنائزية ثم عزفت السلامين الوطنيين المصرى والفلسطينى. ونقلت طائرة عسكرية مصرية من طراز "هيركوليز سى ـ ١٣٠" الجثمان إلى مدينة العريش المصرية حيث وضع على متن مروحية عسكرية مصرية نقلته إلى رام الله.

وفى رام الله كان نحو ربع مليون مواطن فى انتظار وصول

جثمان القائد الرمز فى رحلته الأخيرة..وعند الساعة الثانية والربع بتوقيت فلسطين من يوم الجمعة الثانى عشر من نوفمبر ٢٠٠٤ ، حطت مروحيتان عسكريتان مصريتان إحداهما تقل جثمان " أبو عمار" على المهبط الرئاسى فى مقر المقاطعة. وكان المشهد مؤلماً وحزيناً للسيل الجارف من المواطنين الذين كانوا فى استقبال والدهم وزعيمهم التاريخى العائد شهيدا ، احتشد مئات الآلاف رغم كل العراقيل والحواجز المتعمدة التى وضعتها قوات الاحتلال، وتقطيعها لأوصال الوطن لحرمان المواطنين من وداع قائدهم. وفور هبوط المروحيتين، تدافع آلاف المواطنين نحو الطائرتين لإلقاء نظرة الوداع على جثمان الرئيس الشهيد، وهم يكبرون ويهللون ويهتفون باسمه ، ما أحدث بلبلة فى المراسم الرسمية التى أعدت مسبقاً. وانتشرت جموع المواطنين فى كافة أرجاء مقر الرئاسة، وفوق أسطح المنازل المجاورة، وسط مشاعر جياشة تجاه الراحل الكبير عرفات. وباءت كل محاولات رجال الأمن والشرطة لإبعاد المواطنين عن الطائرة، ولإخراج جثمان الرئيس بالفشل، من شدة السيل الجارف من المواطنين. وبعد محاولات مضنية وشاقة، تمكن رجال الأمن من إخراج جثمان الرئيس الذى لف بعلم فلسطين، ليرفعوه فوق أكتافهم، وسط تدافع المواطنين لينالوا شرف المشاركة فى حمله، ووسط صيحات وهتافات الوفاء للرئيس القائد.اخترق نعشه الأمواج البشرية بصعوبة بالغة ، فيما كانت حناجر آلاف المواطنين تهتف بالشعارات التى تحيى أفكارالرئيس

والمبادئ التى قضى من أجلها. وهتفت جموع الموطنين بشعارات، منها: "يا أبو عمار ارتاح ارتاح وحنا حنواصل الكفاح"، "أبو عمار صرح تصريح يا جبل ما يهزك ريح"، وغيرها من الشعارات التى تحيي الرئيس الشهيد، أو تلك التى كان الراحل يرددها فى حياته بين شعبه. ورفع المواطنون صور عرفات، والأعلام الفلسطينية وبعض أعلام الدول العربية والرايات السوداء. كما رفع العديد من المواطنين الأعلام الفرنسية، تعبيراً عن التقدير لفرنسا شعباً وحكومةً ورئيساً، على الاهتمام البالغ الذى لقيه زعيم الشعب الفلسطينى من لدنها أثناء فترة مرضه، وأيضا أثناء وداع جثمانه رسمياً وشعبياً.

وودع عشرات الآلاف من المشيعين قائدهم التاريخى الشهيد ياسر عرفات (ابو عمار) فى عرينه بمقر الرئاسة .... ووسط هتافات وتكبيرات عشرات آلاف المواطنين وضع جثمان الشهيد القائد فى ضريح خاص فى ساحة مقر الرئاسة ليدفن فيه "مؤقتاً"، لأن عرفات أوصى بدفنه فى باحة الحرم القدسى الشريف، حيث سيتم نقل رفاة عرفات إليه بعد تحريره.

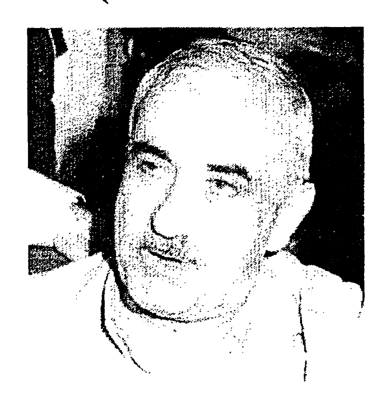
وأقيمت صلاة الغائب على روح عرفات بعد صلاة الجمعة فى المسجد الاقصى بالقدس .وشارك عشرات الآلاف من المواطنين فى غزة فى جنازة رمزية تزامنت مع مراسم تشييعه فى رام الله .ونظمت جنازات رمزية حاشدة وصلوات لعرفات فى المدن الفلسطينية وفى عدة عواصم ومدن عربية بينها القاهرة ودمشق وبيروت وصنعاء،وكذلك فى عدد

من الدول الإسلامية ودول أخرى فى العالم... وبهذا ودع العالم كله "الختيار" كما يلقبه أبناء شعبه فى كل مكان.



الفصل الثالث

الحكيم



بطاقة شخصية

الاسم بالكامل : جورج حبش

اسم الشهرة : الحكيم

تاريخ الميلاد : ٢ أغسطس ١٩٢٦

محل الميلاد : مدينة اللد

د. جورج حبش هومناضل فلسطينى، و يعتبر مؤسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وأحد أبرز الشخصيات الوطنية الفلسطينية يلقبه أنصاره بـ"الحكيم"، والحكيم هنا ذات معنيين، الأول الحكيم بمعنى الطبيب، والثانى بمعنى إنه يمتلك الحكمة ورجاحة العقل، شغل حبش منصب الأمين العام للجبهة الشعبية حتى عام ٢٠٠٠، ولد لعائلة من الروم الأرثوذكس وتعرض للتهجير والترحيل فى حرب ١٩٤٨ من فلسطين وكان يدرس الطب فى تلك الفترة فى كلية الطب فى الجامعة الأمريكية فى بيروت وتخرج منها عام ١٩٥١ متخصصا فى طب الأطفال، فعمل فى العاصمة الأردنية عمّان والمخيمات الفلسطينية، وفى عام ١٩٥٢ عمل على تأسيس حركة القوميين العرب التى كان لها دور فى نشوء حركات أخرى فى الوطن العربى، وظل يعمل فى مجال دراسته حتى عام ١٩٥٧، فر بعدها من الأردن إلى العاصمة السورية دمشق وصدرت فى حقه عدّة أحكام بين الأعوام ١٩٥٨ و١٩٦٣ انتقل بعدها من دمشق إلى بيروت. وفى عام ١٩٦١ تزوج من فتاة مقدسية هى "هيلدا حبش"، وأنجبا ابنتان. بعد خروجه من الأردن ركز جهوده نحو القضية الفلسطينية، ولعب دورا فى تبنى الثورة الفلسطينية للفكر الماركسى اللينينى.

فى ديسمبر من عام ١٩٦٧ أسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مع كل من وديع حداد وأبوعلى مصطفى الزبرى وآخرون، حيث شغل منصب أمينها العام. وقامت الجبهة الشعبية لتحرير

فلسطين بتبنى المبادىء اللينينية، بعد استغناء جمال عبدالناصر عنها واعادة برمجة دعمه لعرفات .

روج حبش فى إطار قيادته للجبهة الشعبية للأعمال المثيرة والتى أخذ بعضها شكل عمليات اختطاف طائرات إسرائيلية وتفجير لبعض خطوط النفط والغاز وهجمات على السفارات الإسرائيلية فى عدة عواصم غربية، إلا ان ما يمكن ان يؤخذ على جبهته مسؤوليتها عن خطف طائرات فى الأردن عام سبعين، إبان حرب "أيلول الأسود" أو (سبتمبر الأسود) بين الفدائيين والجيش الأردنى.

بعد أحداث أيلول الأسود ، انتقل حبش إلى لبنان كغيره من الشخصيات الفلسطينية فى العمل النضالى فى تلك الفترة، وخرج منها عام ١٩٨٢ ليستقر فى دمشق.

وخلال قيادة حبش عرفت الجبهة الشعبية بأنها واحدة من أكثر الجماعات الفلسطينية تشددا واشتهرت بخطف الطائرات. ففى سبتمبر عام ١٩٧٠ اختطفت الجبهة ٤ طائرات وفجرتها لاحقا بعد مغادرة الركاب أمام أعين العالم كله. وفتحت الجبهة النار على طائرات إسرائيلية واحتجزت رهائن. وقدمت الجبهة نفسها كحركة ماركسية لينينية وكانت ثانى أكبر جماعة فى منظمة التحرير الفلسطينية. وعارضت الجبهة محادثات السلام وأى مفاوضات تهدف إلى حل يستند إلى قيام الدولتين.

ودأب حبش على انتقاد الزعيم الفلسطينى الراحل ياسر عرفات

لتفاوضه مع إسرائيل. وكان حبش يؤيد اللجوء إلى العنف ضد إسرائيل.

ويعرف كذلك عن جورج حبش خصومته لياسر عرفات حتى ان البعض يقولون بأن هذا الخصام كان السبب الاساسى الذى دفع حبش الى تأسيس الجبهة. ومنذ عام ١٩٩٠، وبينما كان عرفات يفاوض الاسرائيليين، رفضت الجبهة الشعبية كل الاتفاقات التى نتجت عن المفاوضات وبقيت على عهدها تدعم قيام دولة فلسطينية علمانية.

وبعد اتفاقية اوسلو التى وقعت عام ١٩٩٣ بين اسرائيل والفلسطينيين، رفض حبش الذهاب الى الاراضى الفلسطينية على الرغم من دعوته أكثر من مرة.

وقالت السيدة "هيلدا حبش" ان زوجها كان يتابع يوميا تطور الامور والاحداث فى غزة فى الايام الاخيرة، مضيفة ان الاطباء كانوا يقولون له "انت تتعذب مع اهل غزة".

ومن أكثر الحوادث الدموية التى نفذتها الجبهة قتل ٢٧ شخصا بالرصاص فى مطار"اللد" فى إسرائيل فى مايو عام ١٩٧٢ .

كذلك يعد حبش من ألد المعارضين للاتفاقيات المبرمة بين الفلسطينيين وإسرائيل فيما يعرف بإتفاق أوسلو وقد أبقى الخلاف دون ان يصيب الدم الفلسطينى أو يشرذم المجتمع الفلسطينى عبر انقسامات و حروب أهلية، على عكس ما يحدث الآن بين الفصائل الفلسطينية على مرآى ومسمع من العالم كله.

وكان حبش يرى أن الحلول المنفردة للأطراف المتنازعة مع إسرائيل شيء مرفوض، ورأى أن نتائج أوسلو جاءت لمصلحة إسرائيل بشكل حاسم، وظل حبش رافضا لتقديم طلب إلى إسرائيل للعودة إلى الضفة الغربية وقطاع غزة حتى وفاته.

طيلة عقود، بقي "الحكيم" من أهم القادة الفلسطينيين. وكانت الجبهة في اواخر ستينيات القرن الماضي من اهم الفصائل الفلسطينية اذ كانت الثانية من حيث التأثير بعد حركة فتح التي اسسها الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، كما كانت من ركائز منظمة التحرير الفلسطينية لوقت طويل. وشكلت الجبهة وامينها العام الطليعة في مجال خطف الطائرات لاهداف سياسية.

وبعد انتصار اسرائيل في حرب ١٩٦٧ وافول نجم الحركة القومية العربية، اسس حبش جبهته التي كان شعارها: "اللغة الوحيدة التي يفهمها العدو هي لغة العنف الثوري". وأدى هذا الشعار وتطبيقه من قبل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الى اعتبار الكثيرين في اسرائيل والغرب ان حبش ارهابي، بينما يرى فيه الكثيرون من الفلسطينيين والعرب بطلا.

ونجح حبش بتدويل القضية الفلسطينية من جراء عمليات العنف الاستعراضية التي نفذتها الجبهة، كما نجح بجذب اهتمام حركات ثورية يسارية اخرى في العالم.

وفي أحد المخيمات الفلسطينية في بيروت وتحديدا في مايو ١٩٧٢، نجح في جمع أعضاء من "جيش التحرير الأيرلندي"

وجماعة "بادر مينهوف" وهى جماعة ألمانية ارهابية نشطت فى السبعينات والثمانينات من القرن الماضى، وعناصر من "الجيش الأحمر اليابانى".. وهى منظمة دولية أسستها الآنسة "فوساكو شيغينوبو" فى فبراير ١٩٧١ بعد إنشقاقها عن الجيش الأحمر التابع المنتخب الشيوعى اليابانى. كان حجم المجموعة حوالى ٤٠ فى قمة نشاطها وكانت فى فترة من الفترات أكثر الحركات الفدائية إثارة للخوف. وفى السبعينيات، بينما كانت منظمة التحرير تحاول الحصول على دعم الدول العربية فى النزاع مع اسرائيل، تطلع حبش الى الصين وروسيا الشيوعيتين.

وفى الشهر ذاته، نفذ الجيش الأحمر اليابانى عملية مطار اللد فى اسرائيل حيث اطلقوا النار وقتلوا ٢٦ شخصا. وفى عام ١٩٧٦ ، تمكنت بادر ماينهوف بالاشتراك مع الجبهة الشعبية من خطف طائرة تابعة للخطوط الجوية الفرنسية.

منذ عام ٢٠٠٣ إتخذ حبش من الأردن مكانا لإقامته وذلك بعد مشاكل صحية عانى منها، وفى اليوم السادس والعشرين من شهر يناير عام ٢٠٠٨ توفى فى العاصمة الأردنية عمّان بسبب جلطة قلبية، وذكرت تقارير أخرى أنه توفى بسرطان البروستات، ولكن السفير الفلسطينى فى الأردن عطا الله خيرى أكد أن سبب الوفاة كان "جلطة". و كان حبش قد أدخل مستشفى الأردن بالعاصمة الأردنية أسبوعا قبل وفاته عقب تدهور صحته، ودفن فى مقبرة "سحاب" .

رحل الحكيم وظلت روحه معلقة بحبه الأول.. رحل ولم تمنعه سنواته الثمانون من أن يبقى مراهقا، ومتيما في هواها، وراكضا وراءها صباح مساء، باحثا عنها في الصحف وشاشات الأخبار، مستمعا لأحوالها من أفواه العاشقين مثله رجالا ونساء، سائلا عنها ليل نهار دون ملل أو نسيان، ناصحا رفاقه: "إياكم بأن تسلموا بضياع فلسطين المعشوقة"، وموصيا أبناء وطنه وعروبته بأن يبحثوا عنها في كل الزوايا والدروب، بخيولهم وسيوفهم ولا يسقطوها من وعيهم.. مطالباً بأن يطاردوا مغتصبيها حتى استعادتها إلى أحضان أهلها وقريتها العربية. رحل الحكيم - جورج حبش - وهو يبحث عن وطن ضائع، وما أجمل الوطن عنده.. واسم وطنه ولا كل الأسماء، وأضحى وطنه "فلسطين" أيقونة في صدر كل بيت تنبض حيوية، وتنطق شعراً، وتشع نوراً، وتسمع آذان مساجدها، وتصدح أجراس العودة من كنائسها، وربيعها يفرش على مروجها شقائق النعمان، وينثر على سهولها عطر الياسمين.. آه يا حكيم ومن لا يعشق هذا الجمال الذى جسده غسان كنفانى بريشته ورقة قلبه، هذا الجمال الذى أخذ القلوب وسلب العقول، لقد رآك كثيرون مراراً تبكي فلسطين أمام كل من حدثك عنها.. ما أصعب الرجال العظام وهم يبكون، وما أصدق العشاق حينما يبكون.رحل القائد الاستراتيجى، الزاهد فى "التكتيك والبراجماتية" البعيد عن "البروباجندا" والهارب من السياسة اللفظية والإعلامية، وفلاشات التصوير، لم تخدعه الحياة

بزخرفتها وزيف بريقها، وهو القائد صاحب (الكاريزما) القوية والشخصية القادرة بالمظهر والأداء والقدرات، كى يكون عنوان الحدث وفى صدر الصورة، لكنه كان ممتلئا بذاته كقائد وطنى استراتيجى، مؤمناً بممارسة القيادة السياسية من المواقع الوطنية، والقومية، والأخلاقية، ولم تكن لديه (أنا) متورمة باحثة عن غرائزها وأهوائها.. بقدر ما كانت الأنا عنده قوة إرادة، وموقف عز فى الحياة، وصدق كلمة، وذات حرة أبية.رحل الحكيم، بهدوء الحكماء والعقلاء كما فى حياته، تاركا وراءه سمعة وطنية وقومية، وكفاحية، وأخلاقية، قلما يختلف عليها أحد من رفاقه، وأصدقائه وخصومه، فودعه شعبه فى الوطن والشتات بما يستحق من التكريم والتبجيل، والاعتراف بدور الرجل ومناقبه وسجاياه.رحل الرجل، وهو يملك من الحلم والحماس والآراء كما لو أنه لازال فى العشرينيات من عمره.. لقد أجهده المرض جسداً، ولكنه لم يجهده وعياً وعقلاً وذاكرةً وحماسة، فقد ظل يتحلى بروح القائد المؤتمن على قضية شعبه، والمتحمل للمسؤولية الوطنية حتى آخر لحظات حياته، فلم يستطع اليأس أن يغافله ويدخل خلسة إلى وعيه ولو للحظة واحدة، فلا سنوات عمره الثمانين قد هيأت المجال لفتور عزيمته، ولا شعوره بالمرض قد كسر عنفوانه وإرادته، ولا الحالة الفلسطينية المريضة قد جعلته ييأس من السؤال والمتابعة وإبداء الرأى والنصيحة.. لقد كان يمتلك من الإرادة ما يقهر كل أسباب العجز واليأس والانطواء فى ضوء

الحالة الفلسطينية والعربية التى تلفنا بسوادها وتشرذمها.

رحل الرجل، وهو فى غاية التأثر والاستياء من حالة الانقسام الفلسطينية التى لم تشهدها الساحة الفلسطينية من قبل، وفى ظل ظروف سياسية وعربية غاية فى التعقيد، ومسرح الأحداث العربية يعود بنا إلى الوراء دوما. كان دائم السؤال فى الفترة الأخيرة ومتابعاً لأدق التفاصيل، محاولاً أن يرى بقعة ضوء ولو من بعيد فى الزمن العربى القادم. ولا عجب فى ذلك، حتى غرفة الإنعاش، وكمامة الأكسجين، وأوامر الأطباء.. لم تمنعه فى اللحظات الأخيرة من أن يسأل عن أوضاع غزة، وحين يجيبه أحد الرفاق بأن الحدود الفلسطينية المصرية / معبر رفح اقتحمها الفلسطينيون الثائرون، تنفرج أساريره ويتدفق تفاؤله قائلاً: "سيأتى يوما تقتحم فيه كل الحدود العربية ـ العربية".لقد ظل جورج حبش متمسكا بمواقفه الوطنية والقومية، ولم يتبدل، ولم يتغير، ولم يلتبس الأمر عليه تحت خداع بعض الصور والسيناريوهات أو الوعود، فقد كان واضحاً وشفافاً فى مواقفه السياسية، متشبثاً بعناد بكل الأهداف والثوابت الوطنية والقومية التى آمن بها، وعمل من أجلها، ولم يقبل الواقعية كمفهوم يغطى به مسارات السقوط والتنازل وضرب الحقوق.. بيد أنه فهم الواقعية على نحو ٍ ثورى، يعى تماماً وعورة طريقها ودهاليزها كطريق يجتاز بها صعوبات المرحلة، واتقاء المخاطر.. وقد قالها

مبكراً فى أول منعطفات الثورة الفلسطينية السياسة "ليس للتكتيك أن ينتهك الإستراتيجية" مستشرفا خطورة استعمال واستثمار "الواقعية"، والتكتيك كسياسة تنازلية تنزل بالمنحى الثورى إلى مواقع الفشل والانكسار. لم يقبل على نفسه يوماً أن يكون إصلاحيا، أو أن تتحول الثورة الفلسطينية إلى جملة مطالب اقتصادية، أو معيشية أو سياسية اجتماعية، إنما أراد أن يبقى ثورياً، وحالما، وأراد للثورة أن تبقى أداة تحرير وصراع لا يتوقف إلا عند استئصال السرطان الصهيونى من فلسطين. كان يدرك مبكراً حجم المخاطر والمؤامرات التى يمكن أن تتعرض لها القضية الفلسطينية، وكان يدرك خطورة المس بالحقوق الوطنية والثابتة والشرعية والعادلة للشعب الفلسطينى منذ مطلع وبدايات الثورة الفلسطينية، الأمر الذى حفزه دائماً على إطلاق التحذير، وصيحات الغضب، والنصح بعدم التقاطع مع المسارات السياسية الإقليمية والدولية لمعالجة الصراع العربى الإسرائيلى كما لو أنه صراع حدود.. مدركاً أن هذه المحاولات والمسارات فى جوهرها ليس إلا فعلاً وممارسة لإفراغ الثورة الفلسطينية من محتواها الوطنى، وإفراغ "م.ت.ف" منظمة التحرير الفلسطينية من محتواها التحررى، وتقزيم الحقوق الوطنية الفلسطينية، وتجزئتها على درب التهامها كاملة.. هكذا كان يفكر الحكيم.. وقالها: "لن يقبلوا كل تنازلاتنا حتى لو خلعنا كل ملابسنا". كان متيقناً من أن انحرافاً سياسياً يتأصل فى الساحة الفلسطينية يسرى فى

الثورة الفلسطينية على المستوى القيادى ببطء وتدرج، سيترك بصماته فى كل مرحلة.. وبدا عند البعض أنه حالم، ثورى، أو مبشر، والبعض اتهمه بالعدمية..!! بيد أن الواقع الفلسطينى اليوم وتضاريسه السياسية، والجغرافية، والاجتماعية تشى بقدْرٍ عال من الوضوح على صحة رؤية الرجل، وصحة ما حذر منه على مدار عقود من الزمن.. وها نحن اليوم وبعد أن دخلت الثورة الفلسطينية مربع التسوية وخط المساومات، أمام حصاد فيه جبلٌ من الأوهام.. سلطة فلسطينية وهمية طفيلية لا زالت تحت الاحتلال لم يعرف التاريخ السياسى شبيهاً لها.. وقبل أن يغادر الرجل دنياه رأى وشاهد كيف تشظت هذه السلطة على نفسها مخلفة وراءها شظايا حقوق الشعب الفلسطينى مبعثرة لا يجمعها جامع، ودخان كثيف يغطى مساحة الرؤية الواضحة التى كان الحكيم يرى من خلالها طريق الخلاص.كان الحكيم وحدوياً، منادياً بالوحدة، وتقوية المؤسسات الوطنية، وبناء "م.ت.ف" بناءً مؤسسيا على أسس سياسية، وديمقراطية سليمة، محارباً الفردية والاستئثار فى اتخاذ القرارات وتعريض الثورة لنزعات ورغبات وانحرافات البعض.. لكنه فى الوقت ذاته كان يعى أن سلاح الوحدة ذو حدين فى بعض المنعطفات، فالبعض استخدم الوحدة غطاءً لمواقف وسياسات، وتوجهات، مما دفع الحكيم إلى استخدام الصوت العالى والقاسى أحياناً سلاحاً إلى الحد الذى يبدو أنه يهدد الوحدة الوطنية.. لكنه لا يلبث أن يجعل من الوحدة الوطنية

درعاً واقياً فى مواجهة الخطر الأساس، وفى مواجهة استهداف كيان المنظمة كإطار ومحتوى. ولم يفقد البوصلة فى موضوع معالجة التناقضات الداخلية، مدركاً متى يجب الإسراع فى إقامتها وتقويتها حتى ولو على حساب قناعاته وخطه السياسى.. ومتى يكون الخط السياسى والقرار الوطنى أهم من الوحدة الشكلية،أو الوحدة التى تستخدم لتمرير بعض السياسات.

كان يرفض منطق الاقتتال الداخلى حتى ولو توفرت كل مسبباته، وآمن بالحوار الديمقراطى سبيلاً لحل الخلافات الداخلية فى الساحة الفلسطينية، ويرفض الاحتكام إلى السلاح فى حسم الخلافات على مستوى الثورة، أو الفصيل الواحد. وهكذا تعامل مع كل انشقاقات الجبهة الشعبية.. ومن سخريات القدر أن يعيش الحكيم إلى اليوم الذى يرى فيه ويشاهد قبل رحيله كيف تتهاوى الوحدة الوطنية الفلسطينية على وقع نزف الدم الفلسطينى ووقع الرصاص الفلسطينى، وكيف يتجسد الانقسام الفلسطينى فى أبشع صوره على المستوى السياسى، والجغرافى، والاجتماعى، والثقافى.إن من يعشق وطن.. لا يمكن أن يستسهل قتل أبنائه..؟! وأنت يا حكيم العاشق دوماً.. لم يهن عليك يوماً رؤية الدم الفلسطينى يُراق على يد طلاب السلطة الوهمية.

تناولت الصحف الاسرائيلية وفاة الحكيم جورج حبش من زاوية

واحدة فقط وهى غفلة الموساد الاسرائيلى عن تقدير حالة الحكيم الصحية وتوقع وفاته رغم انه كان هدفا لهذا الجهاز الاستخبارى على مدى سنوات الصراع الطويلة!!

وتساءلت الصحافة عن دور الموساد ولماذا لم يعجل بوصول حبش الى "الجحيم" ؟ فى اشارة الى عدم سعى الموساد لتصفيته واغلاق الحساب المرير معه .

وقال موقع "معاريف" الالكترونى بأن الدكتور حبش الذى توفى عن عمر ناهز ٨٢ عاما نفذ خلالها اكثر العمليات العسكرية دموية على غرار ما شهده مطار "بن جريون" عام ١٩٧٢ واغتيال وزير السياحة "رحبعام زئيفى" سيذكره التاريخ كأكثر الارهابيين قسوة فى تاريخ الصراع!

وحاول الموساد الاسرائيلى عام ١٩٧٣ اختطاف جورج حبش حين اعترضت مقاتلات اسرائيلية طائرة مدنية عراقية واجبرتها على الهبوط فى مطار بن غوريون ومن ثم سمحت لهابالاقلاع والمغادرة بعد ان تبين خطأ المعلومات الاستخبارية وان الدكتور حبش لم يكن على متنها .

وفى زاوية اخرى قال الموقع " بان رئيس الموساد "مئير داجان" يقف على رأس مؤسسة اصابها الشلل فاسرائيل التى اغتالت اخر المشاركين فى عملية ميونخ عام ١٩٧٢ والتى اودت بحياة ١١ رياضيا اسرائيليا اعتراها النعاس وغفلت عن اغتيال رأس الأفعى" .

واضاف الموقع ان وفاة حبش على سريره دون تدخل الموساد التى تحاول الصحافه الاسرائيلية منحها صلاحيات الرب فى منح الحياة وطول العمر حدثت فى فترة شهدت الكثير من الاحداث المحرجة للموساد مثل :

تجول حسن نصر الله فى شوارع بيروت و ظهور خالد مشعل المتكرر وغير المنقطع فى كل حدث تشهده العاصمة السورية و تجول الامين العام لحركة الجهاد رمضان شلح بحرية كاملة فى انحاء العالم العربى وتجول قائد الجناح العسكرى لحركة حماس دون اى ازعاج بشوارع غزة ،وغيرها من الاحداث التي ان من المفترض بجهاز الموساد معالجتها ـ وفقا للصحافة الاسرائيلية .

واستذكر الموقع ايام المجد الموسادية حين استطاع الجهاز اختطاف المجرم النازى "ايخمن" واحضاره الى اسرائيل للمثول امام المحاكمة التى قضت باعدامه واغتيال منفذى "عملية ميونخ" واحدا تلو الاخر .

و قال الموقع ان الموساد تراجع حتى بقيادة "مئير داجان" عن لعب دور " البعبع " الذى يرهب العرب خارج حدود الدولة العبرية ولم تفلح محاولة شارون الذى استحضر داجان لرئاسة الجهاز فى اعادة البعبع الموسادى.

... بحق.. هل هناك أى "بعبع صهيونى"؟ أم إننا من نصنع أو نسمح بصنع تلك الأوهام؟



الفصل الرابع

عاشق البحر



بطاقة شخصية

الاسم بالكامل : خليل إبراهيم محمود الوزير

اسم الشهرة : خليل الوزير "أبو جهاد"

تاريخ الميلاد : ١٩٣٥

محل الميلاد : بلدة الرملة

ولد أبو جهاد في بلدة الرملة بفلسطين، وغادرها إلى غزة إثر حرب ١٩٤٨ مع أفراد عائلته... درس في جامعة الإسكندرية ثم انتقل إلى السعودية فأقام فيها أقل من عام، وبعدها توجه إلى الكويت وظل بها حتى عام ١٩٦٣، وهناك تعرف على ياسر عرفات وشارك معه في تأسيس حركة فتح.

في عام ١٩٦٣ غادر الكويت إلى الجزائر حيث سمحت السلطات الجزائرية بافتتاح أول مكتب لحركة فتح وتولى مسؤولية ذلك المكتب. كما حصل خلال هذه المدة على إذن من السلطات بالسماح لكوادر الحركة بالاشتراك في دورات عسكرية وإقامة معسكر تدريب للفلسطينيين الموجودين في الجزائر وظل هناك عامين وفي عام ١٩٦٥ غادر إلى دمشق حيث أقام مقر القيادة العسكرية حيث كان مكلفا بإدارة العلاقات مع الخلايا الفدائية داخل فلسطين، كما شارك في حرب ١٩٦٧ وقام بتوجيه عمليات عسكرية ضد الجيش الإسرائيلي في منطقة الجليل الأعلى. وتولى بعد ذلك المسؤولية عن القطاع الغربي في حركة فتح، وهو القطاع الذي كان يدير العمليات في الأراضي المحتلة. وخلال توليه قيادة هذا القطاع في الفترة من ١٩٧٦ - ١٩٨٢ عكف على تطوير القدرات القتالية لقوات الثورة كما كان له دور بارز في قيادة معركة الصمود في بيروت عام ١٩٨٢ والتي استمرت ٨٨ يوما خلال الاجتياح الإسرائيلي للبنان.

وقد تقلد العديد من المناصب خلال حياته ، فقد كان أحد أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني، وعضو المجلس العسكري الأعلى

للثورة، وعضو المجلس المركزى لمنظمة التحرير الفلسطينية، ونائب القائد العام لقوات الثورة. كما إنه يعتبر أحد مهندسى الانتفاضة وواحدا من أشد القادة المتحمسين لها.

أبو جهاد كان يولى أهمية كبيرة لعمليات تنفذ داخل إسرائيل، من خلال البحر، مثلما فعل فى عملية "فندق سافوى" فى تل أبيب عام ١٩٧٥، وعملية الشهيد "كمال عدوان"، المعروفة إعلاميا باسم عملية الشهيدة دلال المغربى فى عام ١٩٨٧، والتى تمكن خلالها مجموعة من الفدائيين السيطرة على حافلة اسرائيلية بعد وصولهم الى تل ابيب عبر البحر الأبيض المتوسط من لبنان... كان على دراية كافية بشاطئ يافا في صغره، وخطط لإرسال مجموعات فدائية فى منطقة كان يسبح فيها، على شاطئ يافا، يسهل التسلل منها إلى تل ابيب، وهو ما حققه من خلال عملية دلال المغربى. ويقول العميد يوسف الشرقاوى، أحد الذين شاركوا فى الاعداد لعملية خطط أبو جهاد لتنفيذها في قلب تل أبيب، تستهدف وزارة الحرب الإسرائيلية نفسها ، ان أبا جهاد كان رجلا هاجسه البحر، فهو الرجل الأول المسيطر على قوات البحرية الفلسطينية، و بعد أن قتل، يروى الشرقاوى بأنه زار منزله فى تونس، ورأى على الحائط صورة تجمع بين أبو جهاد والمناضل الأممى جيفارا، وعندما استفسر علم، بان الاثنين اجتازا دورة ضبط بحرى فى كلية "تشرشال" فى الجزائر، وكان ذلك قبل عام ١٩٦٤ .

خلال حصار طرابلس فى عام ١٩٨٣، فكر أبو جهاد بتنفيذ عملية

فى قلب تل أبيب، الهدف منها إرسال رسالة قوية إلى العالم والى اسرائيل وللشعب الفلسطينى أيضا ، بان منظمة التحرير التى تعرضت آنذاك إلى الحصار ، ما زالت موجودة وقوية ومستمرة فى الكفاح.

كانت الخطة، انه فى أثناء خروج المجموعة المكلفة بتنفيذ العملية من طرابلس بالسفن، برعاية فرنسية أن تجنح إحداها عن الخط المرسوم لها ، وتقصد شواطئ الأراضى المحتلة، وتنفذ عملية يكون لها صخب إعلامى، وتبث الروح المعنوية فى الشعب الفلسطين، الحزين لمرأى مقاتليه وهم يغادرون طرابلس. وكان أبو جهاد متحمسا لهذه الخطة، لأن الشواطئ الفلسطينية لا تبعد عن طرابلس سوى ٨٠ ميلا بحريا ، وهو ما يسهل العملية إلى حد كبير.

ووصل المحاصرون الذين خرجوا من طرابلس، راكبين البحر ، إلى الجزائر، وكانت خطة أبو جهاد ما زالت طازجة بالنسبة له رغم إدراكه، أنها تشكل تجاوزا للخطوط الحمراء، فى الصراع مع اسرائيل. ومسار الخطة هو الوصول الى الشاطئ الفلسطينى، ثم السيطرة على حافلة واقتحام مقر وزارة الدفاع الاسرائيلية، واخذ رهائن لمبادلتهم باسرى فلسطينيين وعرب يتم اطلاق سراحهم فى الجزائر. وتم اختيار ٢٨ شابا فلسطينيا ، تتراوح أعمارهم ما بين ٢٠-٣٠ عاما ، وهم من أفراد النخبة المسماة "الخدمة الخاصة" ، لينفذوا العملية التى خطط لها أبو جهاد ، وتم تدريب هؤلاء الشبان، وهو التدريب الذى استمر ١٤ شهرا.. حيث أقيم معسكرا تدريبيا

على شاطئ البحر فى "وهران"، وكان الهدف ان يتعود المتدربون على التعايش مع البحر. كانوا ينزلون إلى البحر خمس مرات فى الأسبوع ويمكثون في وسطه لفترات طويلة. و خلال التدرب توفى اثنان من المتدربين، عندما كان الجميع فى البحر، وفجأة ساءت الأحوال الجوية، وارتفع الموج، وحاول الاثنان أن يمسكا بالزوارق دون جدوى، ونجا ٢٦ من المتدربين بينما فقد الطاقم اثنين وهما: "أبو فايز، وشحادة" وبعد ثلاثة أيام عثر على جثتيهما على بعد نحو ٦٠ ميلا من مكان التدريب. وبالطبع ألقى وفاة اثنين من الطاقم بظلاله على المعسكر، خصوصا وان احدهما وهو "شحادة"، كان موكلا له مهمة أن يكون الدليل فى تل أبيب، لانه يعرف هذه المدينة جيدا وكان سبق له أن عمل فيها.

للتدريب البحرى قسوته فالإنزال البحرى ثلاثة مراحل، الأولى الإبحار، والثانية النزول من البواخر، والثالثة الركوب فى الزوارق ال"زوديك"، وهى نفس تلك التى كان يستخدمها الإسرائيليون، ولدى الاقتراب من الشاطئ، يأخذون بالتجديف، ولدى وصولهم كان عليهم تخريب الزوارق ودفنها حتى لا يتم كشفها، والاستعداد لخوض أية معركة محتملة فى المدينة. وبالإضافة إلى التدريب فى البحر، فان الطاقم تلقى تدريبا قاسيا، وهو خاص باقتحام المدن، والقتال فى المدن من اصعب أنواع القتال، بعد قتال الصحراء، لانه يعتمد على احتلال موطىء قدم، ثم التصعيد خطوة خطوة، وخلال تدريب المجموعة، تعلموا إطلاق النار بكثافة، وكان يتم تعريضهم

إلى إطلاق نار من جانب مجموعة أخرى، وتعلموا أيضا إطلاق اكثر من ١٠ قذائف "آر بى جى" مرة واحدة، حتى أن العميد الشرقاوى كان يفتح قنبلة ويرميها عليهم، وكان يتوجب على أى منهم إمساكها باليد وردها.

وفى الحقيقة إن مسألة تنفيذ عملية ضد الاحتلال فى ظل ظروف صعبة، ليست جديدة على حركة المقاومة الفلسطينية. فمثلا خلال حصار الفدائيين، فى "أحراش جرش، وعجلون" فى الأردن عام ١٩٧١، خطط القائد المحاصر "أبو على اياد" لتنفيذ عملية فى الأراضى المحتلة، وهو ما تم بقصف منطقة "بيتح تكفا" بصواريخ جراد من جبال "طمون". ولكن خطة أبو جهاد لم تر النور، والسبب كما يقول العميد الشرقاوى: "تمكن الإسرائيليون من اعتراض باخرة فلسطينية محملة بالدبابات والمدافع كانت متجهة إلى اليمن، والاستيلاء عليها، مما جعل أبو جهاد يغض النظر عن الخطة ويؤجلها إلى ظروف مواتية".

وخلال التدريب كان الجزائريون يراقبون من بعيد، ولكنهم لم يكونوا يعلمون الهدف الذى يتم من اجله التدريب. وخلال التدريب زارهم أبو جهاد (٤-٥ مرات)، وكان يقدم لهم تعبئة فكرية، واطلق على العملية اسم (فتح مرت من هنا)، وقال لهم إذا وقع أى منكم فى الآسر فليقل لـ"رابين" بأن أبا جهاد هو من بعثنا وسيبعث غيرنا. كانت هذه الكلمات تصدر من أبى جهاد لأنه ظل فى ذهنه ما حدث مع الفدائى "حسين فياض" الذى اسر خلال عملية "دلال المغربى"،

وقابله "ديان" مرتين، لذا فان أبا جهاد كان يتوقع أن يلتقى أى من القادة الإسرائيليين بأفراد من المجموعة فى حالة اسرهم، وكان معنيا بتوجيه رسالة قوية للإسرائيليين، بأنه لا يخاف منهم!!

فى وقت ما قبل التدريب أو فى أثنائه، وبينما كان الشرقاوى وفريقه يجابهون البحر، لمدة ١٤ شهرا فى تدريب قاس منقطعين عن العالم، فان أبا جهاد ابتاع سفينتين واطلق عليهما اسمى (ايتبريوس) و(مون لايت)، وكانت تجوبان البحر، ما بين الجزائر، ومصر، ولبنان، وقبرص، لتعويد سلاح البحرية الإسرائيلية على الأمر ـ كنوع من التمويه. وبعد أن تم انتهاء التدريب، انتقل الفريق إلى "عنابة" إلى ظهر السفينة، ومكثوا هناك فى عمليات استعدادية نحو ٩ أيام، لتجهيز الطاقم والسلاح، بوجود أبو جهاد، الذى اشرف على الخطوط الأخيرة للعملية، وبقى معهم طوال تلك الفترة.

واعطى أبو جهاد، المجموعة الأوامر الأخيرة، وتدارس معهم كيفية اقتحام وزارة الدفاع الاسرائيلية، من خلال الشرح على مجسم لها تم إعداده، من خلال صور جوية، وكان طلبه منهم العمل على اسر أكبر عدد من الضباط. حيث كان أبو جهاد واثقا من نجاح العملية بنسبة ٩٠٪.

وحدد أبو جهاد للمجموعة التى عين "الشيخ نبيل الهرش" الذى كان يبلغ من العمر وقتها ٣٠عاماقائدا لها، مكان النزول فى جنوب يافا، فى مكان كان يسبح فيه وهو صغير. كما اخبرهم، ويتميز بالهدوء، وهو نفس المكان الذى تسللت منه مجموعة دلال المغربى

والتى سوف نحكى تفاصيل عمليتها فى فصل آخر.

وتحركت السفينة فى منتصف شهر أبريل عام ١٩٨٥، بقيادة قبطان يدعى "عبد الناصر" وهو من القدس، و"نادر شديد" الذى يوصف بخبيرة ضباط البحرية الفلسطينية، وكانت الباخرة على اتصال قليل مع ابى جهاد فقط، وحسب تقديرات بعض المعاصرين فإنها وصلت على بعد ٣٠ ميل من الشواطئ الفلسطينية، عندما تنبه سلاح البحرية الإسرائيلية، وطلب التعريف بها وبطاقمها، فرد هؤلاء بإطلاق النار، فما كان من الإسرائيليين إلا إطلاق ٤٢ قذيفة أدت إلى إغراقها، ونجاة خمسة وقعوا أسرى هم:" أبو العبد عفانة" الذى مات مؤخرا فى ظروف غامضة فى الأردن فى حادث سير، و"ضرار"، و"حسام"، و"أبو حفيظ"، و"ضياء". لكن ورغم عدم اتمام العملية إلا أن أثرها النفسى على الحكومة الإسرئيلية كان واضحا، وذلك لدقة تخطيطها ولأن الرسالة التى أراد أبو جهاد توصيلها من العملية وهى " أن الفلسطينيون لا يخافونهم" وصلت.

بعد مرور عشرين عاما على اغتياله، عاد الإسرائيلين فتذكروا أبو جهاد بقوة، صحيفة معاريف خصصت قسما مهما من ملحقها الاسبوعى فى ٢٠٠٨/٤/٤ لنشر تقرير مطول عن أبو جهاد مع حلول الذكرى العشرين لاغتياله فى منزله فى تونس فى ١٩٨٨/٤/١٦، التقرير الإسرائيلى كان بعنوان " أرواح أبو جهاد الأربعة "، وهو يعدد ثلاث محاولات لم تنجح، نفذتها إسرائيل

لاغتيال أبو جهاد قبل أن تنجح أخيراً فى تصفيته فى واحدة من أكثر عمليات الاغتيال تعقيداً، وأكبرها تأثيراً على تغيير مجرى التاريخ الفلسطينى المعاصر.

وتطرق التقرير إلى العملية التى استهدفت وزارة الحرب الإسرائيلية، وأشار معد التحقيق "عمير ريبروت" إلى ما وصفها تفاصيل يتم الكشف عنها لأول مرة عن تلك العملية، التى أحبطتها إسرائيل فى مايو ١٩٨٥، وكانت السبب، على الأرجح الذى جعل إسرائيل تخطط لاغتيال أبو جهاد، والذى تم بعد ثلاثة أعوام فى تونس العاصمة.

لا تزال المعلومات تتدفق بعد اعتراف العميلة النرويجية "كارين لينستاد" بتعاملها مع جهاز الموساد فى الوقت الذى كانت تمارس فيه ذروة نشاطها الداعم للفلسطينيين. فقد تناولت المعلومات بعض الشكوك إزاء العلاقة بين العميلة النرويجية واغتيال الرجل الثانى فى حركة التحرير الوطنى الفلسطينى (فتح) خليل الوزير ـ أبو جهاد. هذه الشكوك دفعت عددا من الصحفيين لمتابعة القضية، وتمكنت وكالة الأنباء النرويجية من الحصول على بعض المعلومات من أحد الدبلوماسيين النرويجيين الذين عملوا فى بيروت إبان فترة اغتيال أبو جهاد. وأثارت المعلومات التى تضمنها كتاب يحمل عنوان "فى الحرب والدبلوماسية" الذى ألفه "اود كاشتين تفيت" وهو صحفى نرويجى يعمل حاليا مراسلا للتلفزيون الرسمى النرويجى nrkفى الشرق الأوسط، حالة من القلق والغضب لدى الجالية

العربية والفلسطينية فى النرويج خاصة وأن زوج العميلة الإسرائيلية وهو طبيب نرويجى اعتنق الإسلام فى الثمانينيات ورأس جمعية فلسطين بالنرويج اعترف بأنه كان يعلم بعمالتها لصالح إسرائيل، وهو لا يزال يحظى حتى الآن بمكانة فى الجالية الإسلامية كما أنه يتلقى مساعدات من آن لآخر لأنشطته الإسلامية من دول خليجية كما حلّ ضيفا فى رمضان الماضى على مائدة إفطار بعض حكام دول الخليج العربى.

والمؤلف يحكى فى كتابه عن دور النرويج فى النزاع الفلسطينى الإسرائيلى فى الفترة ما بين ١٩٧٨ و١٩٩٦، كما يعطى صورة قريبة عن الحرب الإسرائيلية فى لبنان التى قام بتغطيتها كمراسل للتلفزيون والإذاعة النرويجية، ويكشف الكتاب جوانب جدديدة للدبلوماسية النرويجية فى الشرق الأوسط فى عقد الثمانينيات بهدف تجنب وقوع عمليات اغتيال على أراضيها كما يكشف بعض ما جرى فى محادثات أوسلو السرية.

وكانت وكالة الأنباء النرويجية التقت بالعميلة كارين لينستاد عند باب منزلها بعد نشر الكتاب، وسألتها عن توقعاتها بشأن ردود فعل الفلسطينيين فامتنعت عن التعليق، كما رفضت الإجابة عن عدد من الأسئلة تتعلق بنوعية علاقتها بإسرائيل أو الجهة الأخرى التى كانت تعمل لحسابها - لم يفصح عنها الكتاب- أو الأسباب التى دفعتها للقيام بهذا الدور، ولكنها اتهمت الموساد بتسريب المعلومات وقالت إنه يريد إيذاءها، وشككت فى المعلومات التى

يتضمنها الكتاب واعتبرتها افتعالا ومبالغات.

أما زوجها الطبيب "تروند على لينستاد" معروف عنه أنه أحد أصدقاء الرئيس الفلسطينى الراحل ياسر عرفات، وكان قد أعلن إسلامه في جنوب لبنان على يد "حزب الله" وهو يملك حاليا مدارس إسلامية ورياض أطفال للمسلمين ويتولى مسئولية بث قناة تلفزيونية اسمها "صوت الإسلام" فى أوسلو بمدة نصف ساعة يوميا.. ومما يثير الجالية الإسلامية والعربية فى النرويج أن الرجل له علاقات واسعة فى أنحاء العالم الإسلامى ويتلقى مساعدات من دول الخليج العربى بين حين وآخر، كما حل فى رمضان قبل الماضى ضيفا علي مائدة إفطار بعض حكام دول الخليج. وقد اعترف بأنه كان يعلم أن زوجته تعمل لحساب الموساد، وقال إنها سألته قبل مايزيد عن ٣٠ عاما عما إذا قبلت العمل مع الموساد لتتمكن من الحصول على معلومات تفيد الفلسطينيين فأيدت ذلك، وأكد أن اعتراف زوجته بأنها كانت عميلة للموساد يجب ألا يساء فهمه من العرب والمسلمين، فقد خدعت الموساد وعملت لحساب الفلسطينيين والدليل على ذلك أن الموساد هو الذى يحاول فضحها اليوم انتقاما منها لأنه كان وراء المعلومات التى تضمنها الكتاب.ورغم إسلام زوجها لم تدخل كارين لينستاد فى الإسلام وبقيت على ديانتها المسيحية، وهى تعمل حاليا على نيل درجة الماجيستير فى أصول التدريس وكانت قبل ذلك تعمل فى روضة للأطفال، وعرف عنها نشاطها فى العمل للقضية الفلسطينية فى الثمانينيات وكانت

عضوا فاعلا فى لجنة فلسطين التى تنسق عملها بشكل كبير مع منظمة التحرير الفلسطينية.

إسرائيل لم تتحمل ذات يوم المسؤولية عن اغتيال أبو جهاد، واستند صحافيوها حتى اليوم إلى مصادر أجنبية. وبحسب هذه المعلومات، ففى نهاية عام ١٩٨٧، تلقّت "سييرت متكال" أو (وحدة هيئة الأركان المختارة)، بقيادة موشيه يعلون (أصبح قائداً للأركان فيما بعد)، أوامر للاستعداد لعملية.

وبحسب تلك المصادر الأجنبية، اتخذ القرار النهائى فى جلسة فى الثامن من مارس ١٩٨٨، شارك فيها "اسحاق شامير واسحاق رابين وشيمون بيريز"، وقائد الأركان "دان شومرون" ونائبه فى حينه "إيهود باراك"، ورئيس شعبة الاستخبارات "أمنون ليفكين شاحك"، ورئيس الموساد "ناحوم أدمونى"، ونائبه "شبتاى شابيط"، ومستشار رئيس الحكومة لشؤون الإرهاب "يغال برسلر".

كان أبو جهاد مستقرا فى تونس. وتم إسرائيليا بحث خيارين أساسيين: الأول، أن تتم العملية بواسطة "سييرت متكال"، التى ستنتقل إلى تونس بواسطة الكوماندو البحرى، ومن هناك إلى بيت أبو جهاد. والثانى، كان بدخول تونس بواسطة طائرات وأسلحة وتنفيذ العملية. وفى النهاية، تم اعتماد الخيار الأول، وأن تكون العملية بقيادة موشيه يعلون بمشاركة الكوماندو البحرى.وقد أدى الموساد الإسرائيلى فى هذه العملية دوراً مركزياً، وكان جزءاً من التخطيط والتنفيذ، حيث كان عناصره منتشرين فى تونس، وعملوا

فى مكاتب هناك تحت غطاء شركات أجنبية، وجمعوا معلومات كثيرة عن أبو جهاد وبيته ومكان سكنه فى قلب المدينة. و كان فى تونس قبل العملية بفترة وجيزة، ثلاثة عملاء للموساد، بينهم امرأة. واستأجر كل واحد منهم سيارة مختلفة، ودفعوا مبالغ نقدية فى مقابل هذا. كان الثلاثة يحملون هويات لبنانية مزوّرة وعملوا على رصد الأماكن فى تونس ومعاينة "الهدف" المتمثل فى "أبو جهاد" استعداداً لليلة العملية.

فى ليلة العملية، خرجت خمس سفن إسرائيلية. كان ايهود باراك، الضابط الأكبر فى تلك العملية، على متن سفينة متمترسة قبالة شواطئ تونس استعملت كـ"غرفة عمليات". كان على متن السفينة أيضا طائرات احتياط لحال وقوع جرحى إسرائيليين. وفى الأفق، حلقت طائرات إسرائيلية على ارتفاع عال تحسبا للقصف، إذا ما تطلب الأمر.

بدأت العملية حين نزل عناصر الوحدات الإسرائيلية النخبوية من السفن بواسطة قوارب مطاطية ووصلوا إلى الشاطئ. كان بيت أبو جهاد يبتعد خمسة كيلومترات عن الشاطئ. كان بانتظارهم عملاء الموساد الثلاثة والسيارات المستأجرة هناك.

وصلت القوات إلى المكان عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وكان أبو جهاد لا يزال مستيقظا. اقترب ضابط وفرد من مجموعة العمل متخفيان على شكل زوجين محبّين من البيت، فكان

(الرجل) يحمل السلاح، و(المرأة) تحمل خريطة مفصّلة للمكان. اقترب الاثنان من حارس بيت أبو جهاد، وطلبت منه المرأة أن يشرح لها كيف تصل إلى عنوان ما فى المنطقة. اقترب زوجها من الحارس وأطلق النار على رأسه من بعد صفر. وكانت تلك علامة للإسرائيليين من أجل الاقتحام.

كانت انتصار الوزير (أم جهاد)، زوجة أبو جهاد، قد روت فى مقابلة لملحق "معاريف" قبل إثنى عشر عاما، الدقائق الأخيرة فى حياة أبو جهاد حيث قالت: "كان أبو جهاد إلى جانب الطاولة، وفجأة أزاح الطاولة وقام بسرعة وتناول مسدسه من الخزانة. سألته ما الذى حصل، لكنه لم يجبنى". وتابعت "سمعت اقتحام باب البيت من الأسفل، وفهمت ما الذى جرى، صرخت على أبو جهاد، لكنه لم يجبنى، واتجه نحو باب غرفة النوم، وأنا من ورائه، كل هذا خلال ثوان. رأيت أناساً ملثّمين، لا يظهر منهم سوى عيونهم وشعرهم. دفعنى أبو جهاد باتجاه غرفة النوم. فاقترب منه أحد الإسرائيليين وأطلق النار عليه عن كثب". وتابعت "وقع أبو جهاد فذهبت إليه، احتضنته، عندها وجّه أحد الإسرائيليين السلاح إلى ظهرى وأزاحنى باتجاه الحائط. كان وجهى باتجاه الحائط وكنت متأكدة من أنه سيطلق الرصاص على ظهرى".

وأضافت أم جهاد "من أطلق النار على أبو جهاد وقف جانبا، وجاء رجل ثالث وأطلق النار عليه أيضا ووقف جانبا، وجاء رابع وفعل أيضا، لكن أعتقد أن أبو جهاد قتل من إطلاق النار الأول".

وتابعت أن الإسرائيليين دخلوا من بعدها إلى غرفة النوم، وأطلقوا النار، "كان ابننا نضال، ابن العامين، فى غرفة النوم واستيقظ وبدأ بالبكاء. كنت متأكدة من أنه أصيب بأذى. فقدت كل حواسى وبدأت بالصراخ. سمعت صوت امرأة من الأسفل تقول: تعليه تعليه (اصعد اصعد). وفهمت أنها تتحدث العبرية. ودخل رجل خامس وأطلق النار على أبو جهاد، وصرخت عندها كفى. فاستيقظت ابنتى حنان من نومها وسألت الإسرائيليين من أنتم؟ ماذا يجرى هنا؟ فدفعها أحدهم وقال لها اذهبى إلى أمك".

كان الرجل الأول الذى أطلق النار على أبو جهاد جندى فى العشرين من عمره. أما الرجل الخامس الذى أكد موته برصاصة فقد كان موشيه يعلون نفسه.

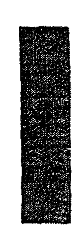
على الرغم من أن الإسرائيليين كانوا يحملون كواتم صوت، إلا أن إطلاق الرصاص أيقظ الحى. عندها استطاع الإسرائيليون التضليل واتصلوا بالشرطة المحلية وأبلغوهم بأن منفذى العملية هربوا باتجاه مركز المدينة، فيما هم كانوا متجهين نحو البحر. وترك عملاء الموساد السيارات المستأجرة فى تونس وغادروا مع القوة!!.

مشهد ختامى

عندما كان المؤرخ السياسى د. سمير غطاس فى غزة فى عام ١٩٩٦ وهناك صادق الصحفى والكاتب الفرنسى "جورج مالبرو"،

والذى كان حاضرا عندما عاد أبو عمار لأول مرة الى غزة فى ١٩٩٤، وقد حكى مالبرو للدكتور غطاس حكاية مدهشة، قال : أن عرفات اخذته الحماسة وهو يخطب فى الجماهير الحاشدة التى استقبلته فى غزة، وانه وعدها بمفاجأة كبرى احضرها معه من تونس ولم يفصح عرفات فى حينها عن هذه المفاجأة. وقال مالبرو، إنه عاش مع الناس فى غزة ليلة مدهشة حيث باتت غزة كلها تخمن فى مفاجأة عرفات، وقال انه كاد يلامس روح أبو جهاد وهى تسرى فى ليل غزة بين البيوت وفى الأزقة، حيث يتهامس الناس أن المفاجأة قد تكون هى ظهور أبو جهاد، الذى لم يكن هو من استشهد فى تونس، كان الناس يعرفون فى قرارة أنفسهم ان ما يهمسون به هو مجرد حلم أو أنها إستعادة للأسطورة بانتظار أوزوريس أو الخضر أو المهدى أو المخلص، ولذا كانوا يصدقون حلمهم فى لحظة وجد عابرة استحضروا فيها روح أبو جهاد ومثاله كنسمة تسرى بين عرائش النخيل وتفوح فى بيارات غزة مع زهر البرتقال والسفرجل.

والآن بعد ما يزيد اثنين وعشرين سنة لم تعد روح أبو جهاد تحوم فى سماء فلسطين الا قليلا. قبل أكثر من عشرين سنه اغتالته إسرائيل، وبعد عشرين سنه أعاد بعض من شعبه اغتياله وهم يتصارعون على كراس من وهم وعلى سلطة من سراب!!



الفصل الخامس

أول رئيسة لفلسطين



بطاقة شخصية

الاسم بالكامل : دلال سعيد المغربى

اسم الشهرة : دلال المغربى أو "جهاد"

تاريخ الميلاد : ١٩٥٨

محل الميلاد : مخيم "صبرا" للاجئين بالقرب من بيروت

دلال المغربى فتاة فلسطينية ولدت عام ١٩٥٨ فى مخيم "صبرا" للاجئين القريب من بيروت من أم لبنانية وأب فلسطيني والذى لجأ إلى لبنان فى أعقاب النكبة عام ١٩٤٨، تلقت دلال دراستها الابتدائية فى مدرسة "يعبد" ودرست الاعدادية فى مدرسة "حيفا" وكانتا المدرستين تابعتين لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينين فى بيروت. التحقت دلال بالحركة الفدائية الفتحاوية وهى على مقاعد الدراسة فدخلت عدة دورات عسكرية وتدربت على جميع أنواع الأسلحة وحرب العصابات وعرفت بجرأتها وحماسها الثورى والوطنى.

تركت دلال المغربى التى بدت فى الصورة وباراك يشدها من شعرها وهى شهيدة أمام المصورين وصية تطلب فيها من رفاقها المقاومة حتى تحرير كامل التراب الفلسطينى ..... ثلاثون عاماً ويزيد مرت على "عملية الساحل" التى قامت بها الشهيدة الشابة دلال المغربى بتخطيط وتفكير من الشهيد خليل الوزير " أبو جهاد"،قائد جهاز الأرض المحتلة المعروف بإسم جهاز القطاع الغربى الجناح العسكرى لحركة التحرير الوطنى الفلسطينى فتح.

كان عام ١٩٧٨ عاما سيئا على الثورة الفلسطينية فقد تعرضت إلى عدة ضربات وفشلت لها عدة عمليات عسكرية وتعرضت مخيماتها فى لبنان إلى مذابح وأصبح هناك ضرورة ملحة للقيام بعملية نوعية وجريئة لضرب إسرائيل فى قلب عاصمتها فكانت عملية "كمال العدوان" التى وضع خطتها الشهيد القائد أبو جهاد.

وكانت تقوم على أساس القيام بإنزال على الشاطئ الفلسطيني والسيطرة على حافلة عسكرية والتوجه إلى تل أبيب لمهاجمة مبنى الكنيست الذى كان فى حينها هناك، حيث كانت عملية فدائية استشهادية ومع ذلك تسابق الشباب على الاشتراك فيها وكان على رأسهم "دلال المغربى" ابنة العشرين ربيعا وتم فعلا اختيارها رئيسة للمجموعة التى ستنفذ العملية والمكونة من (١٤ فرد) من بينهم لبناني وآخر يمني كان يحلم بالصلاة في المسجد الأقصى ، بالإضافة إلي دلال.. عرفت العملية باسم عملية "كمال عدوان" وهو القائد الفلسطينى عضو اللجنة المركزية لفتح الذى استشهد مع كمال ناصر وأبو يوسف النجار فى بيروت ,حيث كان ايهود باراك رئيسا للفرقة التى تسللت آنذاك إلى بيروت متخفيا بزى إمراة واضعا شعرا مستعارا وقتلتهم فى بيوتهم فى حى "الفرداني" فى قلب بيروت وعرفت الفرقة التى قادتها دلال المغربى باسم فرقة "دير ياسين".

في صباح يوم ١١ مارس ١٩٧٨ نزلت دلال مع فرقتها الفدائية. ركبت مجموعة دير ياسين سفينة نقل تجارية تقرر أن توصلهم إلى مسافة ١٢ ميل بحرى عن الشاطئ الفلسطيني ثم تستقل المجموعة زوارق مطاطية تصل بهم إلى شاطئ مدينة يافا القريبة من تل أبيب حيث مقر (البرلمان) "الكنيست الإسرائيلى"، الهدف الأول للعملية غير أن رياح البحر المتوسط كانت قوية فى ذلك اليوم فحالت دون وصول الزوارق إلى الشاطئ فى الوقت المحدد

لها الأمر الذى دفع بالزورقين المطاطيين إلى البقاء فى عرض البحر ليلة كاملة تتقاذفها الأمواج حتى لاحت أضواء تل أبيب ووصلوا إلى الشاطئ فى منطقة غير مأهولة ونجحت عملية الإنزال والوصول إلى الشاطئ ولم يكتشفها الإسرائيليون حيث لم تكن إسرائيل تتوقع أن تصل الجرأة بالفلسطينيين القيام بإنزال على الشاطئ على هذا النحو كما نجحت دلال وفرقتها فى الوصول إلى الشارع العام المتجه نحو تل أبيب ثم تجاوزت مع مجموعتها الشاطئ إلى الطريق العام قرب مستعمرة "معجان ميخائيل" حيث تمكنت دلال المغربى ومجموعتها من إيقاف حافلة كبيرة بلغ عدد ركابها ثلاثين راكبا وأجبروها على التوجه نحو تل أبيب .. فى أثناء الطريق استطاعت المجموعة السيطرة على حافلة ثانية ونقل ركابها إلى الحافلة الأولى وتم احتجازهم كرهائن ليصل العدد إلى ٦٨ رهينة.

كان الوجوم يخيم على وجوه الرهائن إذ لم يخطر ببالهم رؤية فدائيين على أرض فلسطين ، وخاطبتهم قائلة: "نحن لا نريد قتلكم نحن نحتجزكم فقط كرهائن لنخلص إخواننا المعتقلين فى سجون دولتكم المزعومة من براثن الأسر"، وأردفت بصوت خطابى "نحن شعب يطالب بحقه بوطنه الذى سرقتموه ما الذى جاء بكم إلى أرضنا ؟" وحين رأت دلال ملامح الاستغراب فى وجوه الرهائن سألتهم : "هل تفهمون لغتى أم أنكم غرباء عن اللغة والوطن!" هنا ظهر صوت يرتجف من بين الرهائن لفتاة قالت إنها يهودية من

المغرب تعرف العربية، فطلبت دلال من الفتاة أن تترجم ما تقوله للرهائن ثم أردفت دلال تستكمل خطابها بنبرات يعلوها القهر: "لتعلموا جميعا أن أرض فلسطين عربية وستظل كذلك مهما علت أصواتكم وبنيانكم على أرضها". ثم أخرجت دلال من حقيبتها علم فلسطين وقبلته بكل خشوع ثم علقته داخل الحافلة وهى تردد : "بلادى ... بلادى ... بلادى / لك حبى وفؤادى فلسطين يا أرض الجدود / إليك لا بد أن نعود".

عند هذه المرحلة اكتشفت القوات الإسرائيلية العملية فجندت قطاعات كبيرة من الجيش وحرس الحدود لمواجهة الفدائيين وسعت لوضع الحواجز فى جميع الطرق المؤدية إلى تل أبيب لكن الفدائيين تمكنوا من تجاوز الحاجز الأول ومواجهة عربة من الجنود وقتلهم جميعا الأمر الذى دفع بقوات الاحتلال إلى المزيد من تكثيف الحواجز حول الطرق المؤدية إلى تل أبيب غير أن الفدائيين استطاعوا تجاوز حاجز ثان وثالث حتى أطلوا على مشارف تل أبيب فارتفعت روحهم المعنوية أملا فى تحقيق الهدف لكن قوات الاحتلال صعدت من إمكاناتها العسكرية بمزيد من الحشود لمواجهة ثلاثة عشر فدائيا تقودهم فتاة أطلوا بأسلحة خفيفة صمدت فى وجه دباباتهم فتمركزت الآليات العسكرية المدرعة قرب ناد ريفى اسمه "كانترى كلوب" وأصدر إيهود باراك أوامره بإيقاف الحافلة بأى ثمن.

فعملت قوات الاحتلال على تعطيل إطارات الحافلة ومواجهتها

بمدرعة عسكرية لإجبارها على الوقوف .. حاولت المجموعة الفدائية مخاطبة الجيش بهدف التفاوض وأملا فى ألا يصاب أحد من الرهائن بأذى، لكن جيش الاحتلال رفض أن يصغى لصوت الفتاة اليهودية المغربية التى حاولت محادثتهم من نافذة الحافلة بل إن الجيش أعلن عبر مكبرات الصوت أن لا تفاوض مع جماعة (المخربين) - كما وصفتهم قوات الاحتلال - وأن عليهم الاستسلام فقط.

ثم أصدرت دلال أوامرها للمجموعة بمواجهة قوى الاحتلال وجرت معركة عنيفة ضربت خلالها دلال المغربى ومجموعتها نماذج فى الصمود والجرأة فى الأوقات الصعبة عندما نجحت فى اختراق الجيش ومقاتلته بأسلحتها البسيطة التى استخدمتها فى آن واحد . أصيبت دلال واستشهد ستة من المجموعة وبدأ الوضع ينقلب لمصلحة الجيش الاسرائيلى خاصة وأن ذخيرة المجموعة بدأت فى النفاذ. كانت قوات الاحتلال خلال هذا المشهد تطلق قذائفها غير مبالية باليهود الرهائن المحتجزين بالحافلة، فسقطوا بين قتيل وجريح وظهر للمجموعة أن الوضع أخذ فى التردى خاصة وأن دلال أصيبت إصابة بالغة . استشهدت دلال المغربى ومعها أحد عشر من الفدائيين بعد أن كبدت جيش الاحتلال حوالى (٣٠ قتيلا وأكثر من ٨٠ جريحا) كرقم أعلنته قوات الاحتلال، أما الاثنين الآخرين فتقول الروايات انه نجح أحدهما فى الفرار والآخر وقع أسيرا متأثرا بجراحه فأقبلت قوات الاحتلال بشراسة وعنجهية

على الأسير الجريح تسأله عن قائد المجموعة فأشار بيده إلى دلال، لم يصدق إيهود براك ذلك فأعاد سؤاله على الأسير الجريح مهددا ومتوعدا فكرر الأسير قوله السابق: "إنها دلال المغربى".

فاقبل عليها إيهود باراك يشدها من شعرها ويركلها بقدمه بصلف ظالم لا يقر بحرمة الأموات . تركت دلال المغربى التى بدت فى الصورة وباراك يشدها من شعرها وهى شهيدة أمام المصورين وصية تطلب فيها من رفاقها المقاومة حتى تحرير كامل التراب الفلسطيني .. وفى اطار صفقة لتبادل الأسرى أبرمت بين حزب الله اللبنانى و إسرائيل فى ١٧ يوليو ٢٠٠٨ تم اعادة "جثتها" لعائلتها فى لبنان.

وأهدى لكم أسماء فريق عملية "كمال عدوان" المعروفة إعلاميا بـ"عملية دلا المغربى"، وبعض التفاصيل عن هؤلاء الذين كنا ومازلنا نتذكرهم بكل فخر وعزة:

١- الشهيدة دلال سعيد المغربى «جهاد» مواليد بيروت ،(٢٠ عام)، المفوض السياسي للمجموعة ، أصيبت برصاصة فوق عينها اليسرى و استشهدت .

٢- الشهيد محمود على أبو منيف «أبو هزاع» مواليد نابلس ، ١٩٦٠ ، قائد المجموعة ، أصيب فى جبهته و استشهد .

٣- الأسير حسين فياض « أبو جريحة» مواليد غزة - خان يونس ١٩٦٠ ، أوكلت له قيادة المجموعة بعد إصابة ابوهزاع بدوار ، و بقى القائد حتى بعد تحسن حالة أبو هزاع ، تم اعتقاله

بعد العملية وحكم عليه بالمؤبد .

٤- أبو الرمز .. (١٨) عام ، أشجع أفراد المجموعة ، تظاهر بالاستسلام للقوات الإسرائيلية وعندما اقتربوا منه التقط الكلاشينكوف المعلق بكتفه وقتل مجموعة من القوات الإسرائيلية ، أصيب بعدها و استشهد

٥- الأسير خالد محمد أبراهيم «أبو صلاح» مواليد الكويت (١٨ عام) ، أصيب في يده ،تم اعتقاله بعد العملية وحكم عليه بالمؤبد .

٦- الشهيد حسين مراد «أسامة» مواليد المنصورة ١٩٦١ ، (١٥عام)، لبناني الأصل ، أصغر أفراد المجموعة سناً ، أصيب بطلقة في رأسه و استشهد .

٧- الشهيد محمد حسين الشمرى «أبو حسن» مواليد شمر - اليمن ١٩٥٨ ،(١٨عام) ، يمنى الأصل ، ارتبط مع الفلسطينيين بوشائج الدم ، كان يحب فتاه فلسطينية اسمها فاطمة كان سيتزوجها بعد العملية ، حتى يحقق أمنيته بأن يصبح الفلسطينيون أخوال أولاده ، أصيب أثناء العملية بكسر في قدمه اليمنى ثم أصيب برصاصة أدت إلى استشهاده

٨- الشهيد خالد عبد الفتاح يوسف « عبد السلام» مواليد طولكرم ١٩٥٧، (١٨ عام)، غرق قبل أن تصل المجموعة إلى هدفها وذلك بعد أن انقلب الزورق الذى كان يستقله هو و رفاقه فنجا بعضهم و غرق هو و فدائى آخر و استشهدا .

٩- الشهيد يحى محمد سكاف «أبو جلال» مواليد المنية - طرابلس ١٩٥٩، (١٨عام)، نائب آمر المجموعة ، أصيب أثناء العملية بكسر في يده اليسرى و مع ذلك واصل القتال حتى أصيب برصاصة في رأسه واستشهد .

١٠- الشهيد عبد الرؤوف عبد السلام على « أبو أحمد » مواليد صنعاء - اليمن ١٩٥٦ ، يمنى الأصل ، غرق بعد أن انقلب الزورق . يذكر أن اللجنة الدولية للصليب الأحمر تقول انه كان محتجزاً في سجون الاستخبارات العسكرية وإسرائيل لم تعترف بوجوده في سجونها ومتوقع تسليم جثمانه في صفقة من صفقات التبادل

١١- الشهيد محمد محمود عبد الرحيم مسامح «فاخر النحال» مواليد طولكرم ١٩٥٩ ، فلسطيني من مواليد الكويت ، قناص من الدرجة الأولى أصيب في عينه برصاصة قاتلة أدت إلى استشهاده .

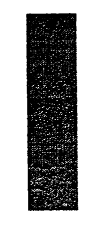
١٢- الشهيد عامر أحمد عامرية «طارق بن زياد » مواليد المنية - طرابلس ١٩٥٣ ، لبناني الأصل ، استشهد بعد إصابته برصاصة قاتله .

١٣- الشهيد محمد راجي الشرعان «وائل» مواليد صيدا ١٩٥٧ ، ١٧ عام ، دائم الابتسام حتى خلال العملية ، أصيب برصاصة في بطنه أدت إلى استشهاده .

كتب الشاعر و الأديب العربي نزار قباني مقالا بعد العملية قال

فيه : إن دلال أقامت الجمهورية الفلسطينية و رفعت العلم الفلسطيني ، ليس المهم كم عمر هذه الجمهورية ، المهم أن العلم الفلسطيني ارتفع في عمق الأرض المحتلة ، على طريق طوله (٩٥كم) في الخط الرئيسي في فلسطين.

في اليوم التالي لعودة سمير القنطار ورفاقه وطبقا لاتفاق التبادل استقبل اللبنانيون والفلسطينيون ما يقرب من مائتين من جثامين لشهداء عرب شاركوا في عمليات فدائية ضد العدو الإسرائيلي عبر العقود الماضية ,كان في مقدمتهم جثمان الشهيدة دلال المغربي والشهيد الرائد عزمي الصغير أحد قادة فتح العسكريين الرئيسيين الذي استشهد أثناء القتال ضد الجيش الإسرائيلي في مدينة صور الجنوبية عند اجتياحها لبنان العام ١٩٨٢. وكان قائدا للقوات المشتركة في القطاع الغربي أثناء الاجتياح الإسرائيلي.



الفصل السادس

لاعب النرد



بطاقة شخصية

الاسم بالكامل : محمود درويش

تاريخ الميلاد : ١٣ مارس ١٩٤١

محل الميلاد : قرية البروة / الجليل

محمود درويش أحد أهم الشعراء الفلسطينين واللغة العربية الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والوطن. يعتبر درويش أحد أبرز من ساهم بتطوير الشعر العربى الحديث وإدخال الرمزية فيه. فى شعر درويش يمتزج الحب بالوطن بالحبيبة الأنثى. كما قام بكتابة وثيقة إعلان الاستقلال الفلسطينى التى تم إعلانها فى الجزائر.

ولد عام ١٩٤١ فى قرية "البروة" وهى قرية فلسطينية تقع فى الجليل قرب ساحل عكا. هو الإبن الثانى لعائلة تتكون من خمسة أبناء وثلاث بنات ، حيث كانت أسرته تملك أرضا هناك. خرجت الأسرة برفقة اللاجئين الفلسطينيين فى عام ١٩٤٧ إلى لبنان ،ثم عادت متسللة عام ١٩٤٩ بعد توقيع اتفاقيات السلام المؤقتة، لتجد القرية مهدومة وقد أقيم على أراضيها "موشاف أحيهود " (قرية زراعية إسرائيلية).و"كيبوتس يسعور".

ويستيقظ الطفل محمود درويش ليجد نفسه فى مكان جديد اسمه "لبنان"، وهنا يبدأ وعيه بالقضية يتشكل من وعيه ببعض الكلمات، مثل: فلسطين، وكالات الغوث، الصليب الأحمر، المخيم، واللاجئين... وهى الكلمات التى شكّلت مع ذلك إحساسه بهذه الأرض، حين كان لاجئا فلسطينيا، وسُرقت منه طفولته وأرضه.

وفى عامه السابع عشر تسلل إلى فلسطين عبر الحدود اللبنانية، وعن هذه التجربة يقول: "قيل لى فى مساء ذات يوم.. الليلة

نعود إلى فلسطين، وفى الليل وعلى امتداد عشرات الكيلومترات فى الجبال والوديان الوعرة كنا نسير أنا وأحد أعمامى ورجل آخر هو الدليل، فى الصباح وجدت نفسى أصطدم بجدار فولاذى من خيبة الأمل: أنا الآن فى فلسطين الموعودة؟! ولكن أين هى؟ فلم أعد إلى بيتى، فقد أدركت بصعوبة بالغة أن القرية هدمت وحرقت".

هكذا عاد الشاب محمود درويش إلى قريته فوجدها قد صارت أرضا خلاء، فصار يحمل اسما جديدا هو: "لاجئ فلسطينى فى فلسطين"، وهو الاسم الذى جعله مطارداً دائما من الشرطة الإسرائيلية، فهو لا يحمل بطاقة هوية إسرائيلية؛ لأنه "متسلل".. وبالكاد وتنسيقًا مع وكالات الغوث بدأ الشاب اليافع فى العمل السياسى داخل المجتمع الإسرائيلى، محاولا خلق مناخ معادٍ للممارسات الإرهابية الصهيونية، وكان من نتيجة ذلك أن صار محررا ومترجما فى الصحيفة التى يصدرها الحزب الشيوعى الإسرائيلى (راكاح)، وهو الحزب الذى رفع فى تلك الفترة المبكرة من الستينيات شعارا يقول: "مع الشعوب العربية.. ضد الاستعمار"، وهى الفترة ذاتها التى بدأ يقول فيها الشعر، واشتُهر داخل المجتمع العربى فى فلسطين بوصفه شاعرا للمقاومة لدرجة أنه كان قادرا بقصيدته على إرباك حمَلة السلاح الصهاينة، فحينئذ كانت الشرطة الإسرائيلية تحاصر أى قرية تقيم أمسية شعرية لمحمود درويش.

وبعد سلسلة من المحاصرات، اضطر الحاكم العسكرى إلى تحديد إقامته فى الحى الذى يعيش فيه، فصار محظورا عليه مغادرة هذا الحى منذ غروب الشمس إلى شروقها فى اليوم التالى، ظانا أنه سيكتم صوت الشاعر عبر منعه من إقامة أمسياته.

فى إحدى الليالى حالكة السواد استيقظ فجأة على أصوات انفجارات بعيدة تقترب، وعلى هرج فى المنزل، وخروج فجائى، وعدوٍ استمر لأكثر من ست وثلاثين ساعة تخلله اختباء فى المزارع من أولئك الذين يقتلون ويحرقون ويدمرون كل ما يجدونه أمامهم "عصابات الهاجاناة".

بعد إنتهائه من تعليمه الثانوى فى مدرسة ينى الثانوية فى كفرياسيف انتسب إلى الحزب الشيوعى الإسرائيلى وعمل فى صحافة الحزب مثل "الاتحاد" و"الجديد" التى أصبح فى ما بعد مشرفا على تحريرها.

اعتقل من قبل السلطات الإسرائيلية مرارا بدأ من عام ١٩٦١ بتهم تتعلق بتصريحاته ونشاطه السياسى وذلك حتى عام ١٩٧٢ حيث توجه إلى للاتحاد السوفييتى للدراسة، وانتقل بعدها لاجئا إلى القاهرة فى ذات العام حيث التحق بمنظمة التحرير الفلسطينية، ثم لبنان حيث عمل فى مؤسسات النشر والدراسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، علماً إنه استقال من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير احتجاجاً على اتفاقية أوسلو.

كما شغل منصب رئيس رابطة الكتاب والصحفيين

الفلسطينيين. كانت اقامته في باريس قبل عودته إلى وطنه حيث أنه دخل إلى فلسطين بتصريح لزيارة أمه. وفي فترة وجوده هناك قدم بعض أعضاء الكنيست الإسرائيلي العرب واليهود اقتراحا بالسماح له بالبقاء وقد سمح له بذلك. ساهم في إطلاقه واكتشافه الشاعر والفيلسوف اللبناني "روبير غانم"، عندما بدأ هذا الأخير ينشر قصائد لمحمود درويش على صفحات الملحق الثقافي لجريدة الأنوار والتي كان يترأس تحريرها.

بدأ بكتابة الشعر في جيل مبكر وقد لاقى تشجيعا من بعض معلميه. عام ١٩٥٨، في يوم الاستقلال العاشر لإسرائيل ألقى قصيدة بعنوان "أخي العبري" في احتفال أقامته مدرسته. كانت القصيدة مقارنة بين ظروف حياة الأطفال العرب مقابل اليهود، استدعى على إثرها إلى مكتب الحاكم العسكري الذي قام بتوبيخه وهدده بفصل أبيه من العمل في المحجر إذا استمر بتأليف أشعار شبيهة. استمر درويش بكتابة الشعر ونشر ديوانه الأول، عصافير بلا أجنحة، في سن ١٩ عاما.

لم يكن محمود درويش يعبث لحظة واحدة بأدوات رسالته لفرط حساسية هذه الأدوات. فأداة الشاعر الفلسطيني واحدة بطبيعته الاستثنائية. هذه الأداة هي الوطن المفقود الذي يصبح في الغياب فردوسا مفقودا، هكذا صدر الحكم - قدريا - على محمود درويش الشاعر أن يولد فلسطينيا ليصبح لسانا لهذه الأرض التي

أُفقدت عن عمد الكثير من ألسنتها.

والمتتبع لحياة محمود درويش يجدها قد مثّلت - بصورة نموذجية - أبعاد قضية شعبه على مدار ستين عاما هى مدتها، وعبر توصيفات صدقت فى كل وقت على كل أفراد هذا الشعب.

فى مطلع السبعينيات وصل محمود درويش إلى بيروت مسبوقا بشهرته كشاعر، وعبر أعوام طويلة من التنقل كان شعره صوتا قويا يخترق أصوات انفجارات الحرب الأهلية فى لبنان.

وفى عام ١٩٧٧ وصلت شهرته إلى أوجها، حيث وُزع من كتبه أكثر من مليون نسخة فى الوقت الذى امتلكت فيه قصائده مساحة قوية من التأثير على كل الأوساط، حتى إن إحدى قصائده (عابرون فى كلام عابر) قد أثارت نقاشا حادا داخل الكنيست الإسرائيلى.

هذا التأثير الكبير أهّله بجدارة لأن يكون عضوا فى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية على الرغم من عدم انتمائه لأية جماعة أو حزب سياسى منذ مطلع السبعينيات، وقد تطورت علاقته بمنظمة التحرير حتى اختاره "عرفات" مستشارا له فيما بعد ولفترة طويلة، وقد كان وجوده عاملا مهما فى توحيد صفوف المقاومة حينما كان يشتد الاختلاف، وما أكثر ما كان يشتد!.

يذكر "زياد عبد الفتاح" أحد أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير واقعة تؤكد هذا المعنى فيقول: "قرأ محمود درويش على المجلس الوطنى الفلسطينى بكامل أعضائه ومراقبيه ومرافقيه

وضيوفه وحرسه قصيدة: "مديح الظل العالي" فأثملهم وشغلهم عن النطاح السياسي الذي شب بينهم في تلك الجلسة".

وهذا ما جعل ياسر عرفات يحاول إقناع محمود درويش بعد إعلان قيام الدولة الفلسطينية في المنفى بتولي وزارة الثقافة الفلسطينية، ولكن الرد كان بالرفض، معللا هذا الرفض بأن أمله الوحيد هو العودة إلى الوطن ثم التفرغ لكتابة الشعر.

وقد عاش محمود درويش كثيرا من مآسي هذه المقاومة، وشاهد بنفسه كثيرين من أصدقائه ورفقاء كفاحه وهم يسقطون بأيدي القتلة الصهاينة، وكانت أكثر حوادث السقوط تأثيرا في نفسه حادث اغتيال "ماجد أبو شرار" في روما عام ١٩٨١، حين كانا يشاركان في مؤتمر عالمي لدعم الكتاب والصحفيين الفلسطينيين نظمه اتحاد الصحفيين العرب بالتعاون مع إحدى الجهات الثقافية الإيطالية.. وضع الموساد المتفجرات تحت سرير ماجد أبو شرار.. وبعد موته كتب محمود درويش في إحدى قصائده: "أصدقائي.. لا تموتوا".

كان محمود درويش مقيما في بيروت منذ مطلع السبعينيات، وعلى الرغم من تجواله المستمر إلا أنه قد اعتبرها محطة ارتكازه، كما كانت حياته في بيروت زاخرة بالنشاط الأدبي والثقافي، فقد أصدر منها في أواخر السبعينيات مجلة الكرمل التي رأس تحريرها والتي اعتبرت صوت اتحاد الكتاب الفلسطينيين.

أثناء قصف بيروت الوحشي، كان محمود درويش يعيش حياته

الطبيعية، يخرج ويتنقل بين الناس تحت القصف، لم يكن يقاتل بنفسه، فهو لم يعرف يوما كيف يطلق رصاصة، لكن وجوده - وهو الشاعر المعروف - بين المقاتلين كان يرفع من معنوياتهم، وقد أثر قصف بيروت في درويش تأثيرا كبيرا على مستويات عديدة.

فعلى المستوى النفسى كانت المرة الأولى التى يحس فيها بالخنق الشديد، على الرغم من إحباطاته السابقة، وعلى المستوى الشعرى أسهم هذا القصف فى تخليه عن بعض غموض شعره لينزل إلى مستوى أى قارئ، فأنتج قصيدته الطويلة الرائعة "مديح الظل العالى"، معتبرا إياها قصيدة تسجيلية ترسم الواقع الأليم، وتدين العالم العربى، بل الإنسانية كلها.

وأسفر القصف عن خُروج المقاومة الفلسطينية من بيروت، بينما فضّل محمود درويش البقاء فى بيروت، معولا على عدم أهميته بالنسبة للصهاينة، لكنه وبعد عشرين يوما من بقائه علم أنه مطلوب للتصفية، فاستطاع أن يتسلل هاربا من بيروت إلى باريس ليعود مرة أخرى وطنا متنقلا ومنفى إجباريا. وبين القاهرة وتونس وباريس عاش محمود درويش حبيس العالم المفتوح معزولا عن جنته الموعودة.. فلسطين. كان محمود درويش دائما يحلم بالعودة إلى أرضه يشرب منها تاريخها، وينشر رحيق شعره على العالم بعد أن تختفى رائحة البارود!.

فى عام ١٩٩٣ وأثناء تواجده فى تونس مع المجلس الوطنى

الفلسطينى، أتيح لمحمود درويش أن يقرأ اتفاق أوسلو، واختلف مع ياسر عرفات لأول مرة حول هذا الاتفاق، فكان رفضه مدويا، وعندما تم التوقيع عليه بالأحرف الأولى قدم استقالته من المجلس الوطنى الفلسطينى، وشرح بعد ذلك أسباب استقالته قائلا: "إن هذا الاتفاق ليس عادلا؛ لأنه لا يوفر الحد الأدنى من إحساس الفلسطينى بامتلاك هويته الفلسطينية، ولا جغرافية هذه الهوية إنما يجعل الشعب الفلسطينى مطروحا أمام مرحلة تجريب انتقالى.. وقد أسفر الواقع والتجريب بعد ثلاث سنوات عن شىء أكثر مأساوية وأكثر سخرية، وهو أن نص أوسلو أفضل من الواقع الذى أنتجه هذا النص".

وعاد درويش فى يونيو ١٩٩٤ إلى فلسطين، واختار الإقامة فى رام الله، وعانى مذلة الوجود فى أرض تنتمى له، ويحكمها - ولا يحكمه- فيها شرطى إسرائيلى.. واستمر يقول الشعر تحت حصار الدبابات الإسرائيلية، إلى أن تم اجتياحها أخيرا، ولم يسلم هو شخصيا من هذا الاجتياح، حيث داهمت الشرطة الإسرائيلية منزله، وعبثت بأسلحته: أوراقه وأقلامه.

"إذا كنا هامشيين إلى هذا الحد فكريا وسياسيا فكيف نكون جوهريين إبداعيا؟"

هكذا أجاب درويش، وهكذا يرى نفسه وسط عالم من الإبداع الجيد والمبدعين "الجوهريين"، رغم التقدير الذى يلقاه داخل وطننا

العربى وخارجه الذى بلغ ذروته حين قام وفد من البرلمان العالمى للكتاب يضم "وول سوينكا" و"خوسيه ساراماجو" و"فينثنثو كونسولو" و"برايتن برايتنباك" و"خوان جويتيسولو" إلى جانب "كريستيان سالمون" سكرتير البرلمان فى ٢٤ مارس ٢٠٠٢ بزيارة درويش المحاصر فى رام الله مثل ثلاثة ملايين من مواطنيه، وهذه الخطوة - زيارة وفد الأدباء لفلسطين- التى لم تستغل جيدا رغم أنها حدث فى منتهى الأهمية - تنم عن المكانة التى يحتلها درويش على خريطة الإبداع العالمى.

وعلى هامش الزيارة كتب الكاتب الأسبانى "خوان غويتسولو" مقالا نشره فى عدد من الصحف الفرنسية والأسبانية اعتبر فيه محمود درويش أحد أفضل الشعراء العرب فى القرن الحالى ويرمز تاريخه الشخصى إلى تاريخ قومه، وقال عن درويش إنه "استطاع تطوير هموم شعرية جميلة ومؤثرة احتلت فيها فلسطين موقعا مركزيا ، فكان شعره التزاما بالكلمة الجوهرية الدقيقة، وليس شعرا نضاليا أو دعويا ، هكذا تمكن درويش، شأنه فى ذلك شأن الشعراء الحقيقيين، من ابتكار واقع لفظى يرسخ فى ذهن القارئ باستقلال تام عن الموضوع أو الباعث الذى أحدثه".

وكان درويش قد شارك فى الانتفاضة الأخيرة بكلماته التى لا يملك غيرها بديوان كتبه فى أقل من شهر عندما كان محاصرا فى رام الله، وأعلن درويش أنه كتب هذا الديوان - الذى أهدى ريعه لصالح الانتفاضة - حين كان يرى من بيته الدبابات والجنود،

ويقول: "لم تكن لدى طريقة مقاومة إلا أن أكتب ,وكلما كتبت أكثر كنت أشعر أن الحصار يبتعد ,وكانت اللغة وكأنها تبعد الجنود لأن قوتى الوحيدة هى قوة لغوية".

وتابع قائلا "كتبت عن قوة الحياة واستمرارها وأبدية العلاقة بالأشياء والطبيعة. الطائرات تمر في السماء لدقائق ولكن الحمام دائم.. كنت أتشبث بقوة الحياة فى الطبيعة للرد على الحصار الذى أعتبره زائلا؛ لأن وجود الدبابة فى الطبيعة وجود ناشز وليس جزءا من المشهد الطبيعى".

لا أزعمُ بأننى أعرف الكثير عن جمهور الشعر فى أوروبا. ولكن يمكننى الكلام عن العالم العربى، وبقدر أكبر من الثقة عن جمهور محمود درويش. كان عدد الحاضرين فى أمسياته يعدُ بالآلاف. وكانت أمسياته تُعتبر أحداثا ثقافية مهمة فى العواصم العربية، تغطيها كبريات الصحف، وقنوات التلفزيون. وفى السنوات الأخيرة، عندما انتشرت الفضائيات على نطاق واسع، كانت الأمسيات تُنقل بالبث التلفزيونى الحى والمباشر إلى أعداد يصعب حصرها من المشاهدين فى العالم العربى.

حدثنى الكثير من الأصدقاء عن بعض تلك الأمسيات فى عواصم عربية مختلفة، ورأيتُ كيف يضع المنظمون مكبرات للصوت فى الخارج، لتمكين من لم يحالفهم الحظ بالحصول على مقعد فى القاعة بالاستماع إلى الصوت فى الخارج.

كيف نفسر هذه الظاهرة؟ وما السر فى حياة وشعر محمود

درويش؟ كثيرا ما طرحت عليه أسئلة تشبه هذا السؤال، في مقابلات مرئية ومكتوبة. وكان جوابه دائما: "سرى أنني بلا أسرار".

وقد صاغ هذا الجواب في قصيدة بعنوان "لاعب النرد"، قرأها في أمسيته الأخيرة في رام الله، أي قبل رحيله بخمسة أسابيع. وهي سيرة ذاتية تتكوّن من اعترافات متلاحقة يبوح بها شخص يعرف بأنه لم يعد يملك الكثير من الوقت.

وفي يوم السبت ٩ أغسطس ٢٠٠٨ رحل عنا درويش في الولايات المتحدة الأمريكية بعد إجراءه لعملية قلب مفتوح في المركز الطبي في هيوستن، التي دخل بعدها في غيبوبة أدت إلى وفاته بعد أن قرر الأطباء نزع أجهزة الإنعاش.

و أعلن رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس الحداد ٣ أيام في كافة الأراضي الفلسطينية حزنا على وفاة الشاعر الفلسطيني، واصفا درويش "عاشق فلسطين" و"رائد المشروع الثقافي الحديث، والقائد الوطني اللامع والمعطاء".

وقد ورى جثمانه الثرى في ١٣ أغسطس في مدينة رام الله حيث خصصت له هناك قطعة أرض في قصر رام الله الثقافي. وتم الإعلان عن تسمية القصر بقصر محمود درويش للثقافة. وقد شارك في جنازته الآلالف من أبناء الشعب الفلسطيني وقد حضر أيضا أهله من أراضي ٤٨ وشخصيات أخرى على رأسهم رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس . تم نقل جثمان الشاعر

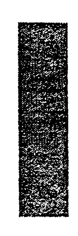
محمود درويش إلى رام الله بعد وصوله إلى العاصمة الاردنية عمّان ، حيث كان هناك العديد من الشخصيات من العالم العربى لتوديعه.

لماذا النرد؟

"لاعب النرد" عنوان آخر قصيدة لدرويش. يمكننا طبعا، أن نقرأ العنوان بطريقة مجازية. وهذا أمر ضرورى. ويمكن أن نقرأه بطريقة حرفية، أيضا. فقد كان محمود درويش مولعا بلعب النرد، خاصة في السنوات الأخيرة، وكانت تغمره سعادة حقيقية عندما ينهمك فى اللعبة، ويحاول الفوز، فيحرك حجارة النرد فى يده، كمن يضع فيها تعويذة خاصة، لإقناع النرد بالتحالف معه لاستدراج الحظ إلى الطاولة... و"النرد" لعبة مشهورة جدا فى الشرق الأوسط والبلاد الفارسيه ,تتكون من رقعة خشبية أو صندوق خشبى يمكن أن يكون مزخرفا ومطعما بالصدف أو بقطع خشبية ثمينة من الأبنوس، وعدد من الأقراص العاجية أو البلاستيكية أو الخشبية بلونين مختلفين عددها (١٥) من كل لون و نردين سداسيين... وتسمى فى بعض الدول "طاولة".

ولا شك فى أن درويش استوحى عنوان قصيدته، من تلك الأجواء، إضافة إلى أن كل تفصيل من التفاصيل البيوجرافية فى النص يشبه رمية للنرد يلعبها القدر، فتتجلى فى صدفة من نوع ما غيّرت حياته، أو أضفت عليها الخصوصية. وهى خصوصية ستصبح

مفهومة ـ فقط ـ عندما يراها الناظر إلى النص من شرفة النهاية لا من شرفة المحطة الأولى فى رحلة الحياة.



الفصل السابع

جارانج فلسطين



بطاقة شخصية

الاسم بالكامل : صلاح مصباح خلف

اسم الشهرة : صلاح خلف "أبو اياد"

تاريخ الميلاد : ٣٠ أغسطس ١٩٣٣

محل الميلاد : يافا

أبو إياد هو سياسي فلسطيني بارز، من مؤسسي حركة تحرير فلسطين (فتح)،و هو قائد الأجهزة الأمنية الخاصة لمنظمة التحرير و حركة فتح لفترة طويلة، أشيع أنه زعيم منظمة أيلول الأسود.

قدم والده من مدينة غزة إلى يافا، وهناك ولد صلاح خلف عام ١٩٣٣ وعاش أول سنين حياته حتى قبل قيام الكيان الصهيوني بيوم واحد، حيث إضطر وعائلته الذهاب إلى غزة عن طريق البحر، فأكمل فى غزة دراسته الثانوية وذهب إلى مصر عام ١٩٥١ ليكمل دراسته العليا فى دار المعلمين هناك، حصل على ليسانس تربية وعلم نفس من جامعة القاهرة.

انضم أثناء وجوده فى غزة إلى العمل الوطنى وكان لا يزال قاصرا، وفى أثناء وجوده فى مصر، نشط مع ياسر عرفات وآخرين فى العمل الطلابى و قاما بدور بارز فى اتحاد طلاب فلسطين،قبل أن يعود إلى غزة مدرسا للفلسفة حيث واصل نشاطه السياسى وبدأ ينحو به منحا عسكريا، وانتقل أبو إياد إلى الكويت عام ١٩٥٩ للعمل مدرساً وكانت له فرصة هو ورفاقه وخصوصاً ياسر عرفات وخليل الوزير لتوحيد جهودهم لإنشاء حركة وطنية فلسطينية وهى حركة "فتح" وبدءوا بعرض مبادئهم أمام الجماهير الواسعة بواسطة مجلة "فلسطنينا"، وفى عام ١٩٦٩ بعد دمج حركة فتح فى منظمة التحرير الفلسطينية بدأ اسم أبو إياد يبرز كعضو اللجنة المركزية لفتح، ثم مفوض جهاز

الأمن فى فتح، ثم تولى قيادة الأجهزة الخاصة التابعة للمنظمة ومنذ عام ١٩٧٠ تعرض أبو إياد لأكثر من عملية اغتيال استهدفت حياته. أصدر كتاب(فلسطيني بلا هوية)عام ١٩٧٨ على شكل سلسلة من اللقاءات مع الصحفى الفرنسى "اريك رولو" حيث حاول نفى أى علاقة له بأيلول الأسود.

يعتبر أبو اياد أحد أهم منظرى الفكر الثورى لحركة فتح ,و احدد مؤسسى ركائز جهاز الرصد الثورى ,و كان يسمى على النطاقات النخبوية فى حركة فتح بـ"جارنج فلسطين" نسبة للدبلومسى السويدى المشهور جارنج وذلك لقدرته الفائقة على صياغة التوجهات و الاستراتيجيات و بناء التحالفات و إدارة التفاوض بشكل فائق الحكمة.

كان خروج صلاح خلَف من يافا فى ١٣مايو ١٩٤٨م، قبيل إعلان دولة إسرائيل بأربع وعشرين ساعة مع عائلته تحت وابل من القذائف التى أطلقتها المدفعية اليهودية، حادثًا ظل محفوراً فى ذاكرته إلى الأبد. ذاكرة ذلك الصبى الذى لم يتجاوز عمره حينذاك الخامسة عشر، ذاكرة غصَّت بصور مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين سلكوا طريق المنفى.

لم يكن يخطر بباله - وهو على ظهر المركب الذى يغادر ميناء يافا باتجاه غزة - أسباب المغادرة، كل ما كان مقتنعاً به - شأنه فى ذلك شأن كل فلسطينى يعشق تراب بلده - أنه ليس أمامهم سبيل آخر للإفلات من الموت، ومع أمواج البحر التى كانت

تتقاذف هذا المركب طافت به الذكريات في يافا في حي بمواجهة البحر يُدعَى: "الحمام المحروق" حيث وُلِد، تذكر والده صاحب البقالة التي كان يساعده فيها هو وشقيقه الأكبر "عبد الله" بعد أن ينتهوا من المدرسة، وعَلَّمته هذه البقالة بعض الكلمات العبرية من خلال تعاملاته مع الزبائن اليهود الذين كانوا يشكّلون نصف سكان الحي، وكانت تربطهم بعائلته علاقات طيبة، ويتذكر صداقته للطلاب اليهود وما جنته عليه هذه الصداقة من ويلات؛ حيث كانت سببا في فرض الإقامة الجبرية عليه وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، مما غرس في قلبه بذور الحقد على الصهيونية والإنجليز، تذكر نفسه شِبْلاً في منظمة "النجادة" الفلسطينية التي نشأت لمقاومة منظمة "الهاجانا" اليهودية وكيف كان نشاطه فيها.

وكانت صورة أبيه وهو يمسك بيده مفاتيح بيتهم في يافا ويقول له: "إننا سنعود"، هي آخر ما مر به من ذكريات قبل أن يحط به المركب في ميناء غزة، وكانت سنوات اللجوء إلى غزة من أكثر سنوات حياته كآبة، رغم أنه لم يكن في عداد الأكثرين حرمانًا، توجه إلى القاهرة عام ١٩٥١م؛ ليتابع دراسته الجامعية وانتسب إلى كلية دار العلوم، ثم حصل بعدها على دبلوم تربية وعلم نفس من جامعة عين شمس.

وجوده في القاهرة كان نقطة انطلاق لعملية النضال، حيث تعرف على ياسر عرفات الطالب في كلية الهندسة آنذاك، وبدأ ينمو

توجه بين عدد من الطلبة - كان هو من بينهم - يدعو إلى ضرورة اعتماد الفلسطينيين على أنفسهم بعد أن فقدوا الثقة بالأنظمة العربية، فقرروا عام ١٩٥٢م تحقيق هذه الفكرة على أرض الواقع بتقديم ترشيحهم إلى قيادة اتحاد الطلاب الفلسطينيين، وكان التشكيل الوحيد الذى يمثل قطاعًا ما من الرأى العام الفلسطينى، ونجحت لائحة "أنصار الاتحاد الطلابى"، وأثبت ذلك أن الطلاب يتطلعون - وبرغم معتقداتهم الإيديولوجية - إلى عمل وحدوي.

ويدأ التطور فى عمل الطلبة الفلسطينيين بعد الغارة الإسرائيلية على غزة فى عام ١٩٥٥م، حيث نظموا المظاهرات والإضرابات عن الطعام، وكان من جملة مطالبهم إلغاء نظام التأشيرات بين غزة ومصر، وإقامة معسكرات تدريب إجبارية تتيح للفلسطينيين الدفاع عن أنفسهم ضد الهجمات الإسرائيلية. واستجاب الرئيس عبد الناصر لمطالباهم، وبدأت العلاقة تتوطد بين الطلبة والثورة المصرية، ونشط أبو إياد ورفاقه فى تجنيد الكوادر وتوطيد هذه العلاقة، بعد أن أنهى أبو إياد دراسته فى مصر عاد إلى غزة عام ١٩٥٧م للتدريس هناك. وبدأ عمله السرى فى تجنيد مجموعات من المناضلين وتنظيمهم فى غزة.

وعلى الطرف الآخر فى الكويت كان رفيق دربه أبو عَمَّار يعمل هناك مهندسًا وينشط فى تجنيد المجموعات الفلسطينية. وانتقل أبو إياد إلى الكويت عام ١٩٥٩م للعمل مدرسًا وكانت فرصة له

هو ورفاقه، لتوحيد جهودهم لإنشاء حركة تحرير فلسطين "فتح" لتعيد الفلسطينيين إلى أرضهم وحقوقهم وعزم مؤسسو "فتح" على التصدى لكل محاولة لإخضاع الحركة الوطنية لإشراف أية حكومة عربية، لما فى ذلك من عقبات قد تثنيهم أو تُبَطِّئ بهم السير نحو هدفهم، وبدءوا بعرض مبادئهم أمام الجماهير الواسعة بواسطة مجلة "فلسطيننا"، وابتكروا جهازين: أحدهما عسكرى، والآخر سياسى فى الفترة ما بين ١٩٥٩م -١٩٦٤م.

وعندما ظهرت منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة الشقيرى اكتشفت "فتح" خطورة هذه المنظمة التى تشرف فيها الأنظمة العربية على الحركة الوطنية الفلسطينية، وحاول ياسر عرفات وصلاح خلف الاتصال بالشقيرى؛ لإقناعه بالتنسيق السرى بين نشاطاته العلنية وبين عمل يخوضونه بصورة سرية وكان موقف الشقيرى سلبيًا، ومع ذلك ارتأى عرفات وصلاح خلف أن المشاركة فى هذه المنظمة ستجعلهم فاعلين فى الحياة السياسية وسيفيدون من مَقْدراتها وإمكانياتها، فانخرط فدائيو "فتح" فى جيش التحرير - تحت إشراف المنظمة -.

شهدت أوساط فتح منذ الربع الأخير من عام ١٩٦٤م خلافا حول حرب العصابات، فمنهم من رأى أن الوقت مبكر وكان الطرف الآخر وعلى رأسهم أبو إياد يرى أن الوضع مناسب لبَدْء الكفاح المسلح، وأن "فتح" ستتطور إلى حركة جماهيرية بممارسة الكفاح، واستطاع أبو إياد وبحنكته وحكمته من إقناع المتحاورين برأيه.

وجرى توقيت ميعاد أول عملية عسكرية فى ١٩٦٤/١٢/٣١م، ومنها كانت انطلاقة البلاغ العسكرى الأول باسم "العاصفة"... ورغم التضييقات العربية، وضآلة الدعم الخارجى والخلافات داخل "فتح" واصلت "فتح" حرب العصابات، مما زاد من التوتر بين إسرائيل والبلدان العربية.

شكلت هزيمة العرب فى حرب عام ١٩٦٧م نقطة انطلاق جديد لحركة فتح، فأقيمت قواعد على طول نهر الأردن، وآزرهم فى ذلك السكان المحليون والقوات الأردنية، وتوّج ذلك بانتصار معركة الكرامة التى على إثرها تدفق الآلاف للانتساب لحركة فتح.

بعد هذه المعركة كان صلاح خلف وراء إصدار بيان عن اللجنة المركزية لفتح يُعْلن تعيين عرفات ناطقًا باسم فتح وبالتالى باسم "العاصفة".

وفى عام ١٩٦٩م استطاعت حركة فتح السيطرة على منظمة التحرير، وبالتالى آلت رئاسة المنظمة لعرفات وتم دمج الحركة الفدائية فى منظمة التحرير، وبدأت المنظمة بتأمين مرتكزات دولية، وكان ذلك بالاتجاه إلى الدول الاشتراكية التى دعمت كفاح الشعب الفلسطينى بالمال والتدريب والدورات مثل كوبا وفيتنام.

وبدأ اسم أبو اياد يبرز كعضوا للجنة المركزية لفتح، ثم مفوض جهاز الأمن فى فتح، ثم تولى قيادة الأجهزة الخاصة التابعة للمنظمة. ومنذ عام ١٩٧٠م تعرَّض لأكثر من عملية اغتيال سواء

من الإسرائيليين أم بعض الحركات الفلسطينية المُمَوَّلة من الأنظمة العربية.

وصلت العلاقات بين السلطات الأردنية والمقاومة الفلسطينية حد الاشتباك المسلح وذلك فى سبتمبر عام ١٩٧٠م، واعتقل صلاح خلف فى هذه الأحداث فى عمَّان مع عدد من رفاقه، ثم دُعِى إلى القصر الملكى فى عَمَّان للقاء الوفد العربى الذى جاء إلى عمان للتوصل إلى وقف المعارك، وتم إخراجه من عمّان على نفس الطائرة التى أقلّت الوفد العربى إلى القاهرة؛ ليشرح للرئيس عبد الناصر الوضع فى الأردن، وانتهت المقاومة الفلسطينية فى الأردن صيف ١٩٧١م، ليقر أبو إياد أنه بذلك قُلِبَت صفحة من تاريخنا بصورة نهائية!!

كان صلاح خلف من القلة التى عرفت بعض الخفايا التى سبقت حرب أكتوبر ١٩٧٣م ورافقتها وأعقبتها، حيث أسرً السادات له ولعدد من المقاومة الفلسطينية بذلك، طالبًا منهم أكبر عدد ممكن من الفدائيين للاشتراك معه فى المعركة، وحضر أبو إياد إدارة غرفة عمليات المعركة مع السادات، وبعد هذه المعركة تبنى صلاح خلف مشروع إقامة الدولة على جزء من فلسطين!!، وصولا إلى إقامة دولة ديموقراطية على كامل أرض فلسطين تضم الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين واليهود!!، وعلى إثر هذا المشروع برزت جبهة الرفض الفلسطينية التى رفضت هذا المشروع.

كان لأبو إياد دور بارز فى لبنان إبان الحرب الأهلية؛ فقد كان أحد

قادة المقاومة المكلف بعملية المفاوضات المعقدة بين الفصائل اللبنانية من جهة، والفصائل اللبنانية والمقاومة الفلسطينية من جهة أخرى، وشارك في الإعداد لاتفاقية "شتورا" عام ١٩٧٧م التي نظمت هذه العلاقة فيما بعد.

ظل أبو إياد مشدودا إلى مسقط رأسه "يافا"، حتى فاضت روحه في (قرطاج) على الساحل التونسي للمتوسط، حين قضى برصاص الغدر والخيانة مثل الكثيرين من رفاقه في اللجنة المركزية لحركة فتح... حيث اغتيل في ١٤ يناير ١٩٩١ في تونس وحملت إسرائيل مسؤولية الحادث، وكان المنفذ أحد التابعين لـ"صبرى البنا" المعروف باسم "أبو نضال"، وهو صبرى خليل البنا المشهور بأبو نضال (مايو ١٩٣٧ - ١٦ أغسطس ٢٠٠٢). شخصية سياسية فلسطينية. أسس ما عرف باسم فتح- المجلس الثورى أو منظمة أبو نضال. حيث يقال أنه شارك في اغتيال العديد من السياسيين الفلسطينيين بالتنسيق مع المخابرات العراقية إبان حكم الرئيس العراقى صدام حسين .. مثل "أبو اياد ، وأبو الهول، وعصام السرطاوى".

ترددت الكثير من الأقاويل من جهات رسمية وأخرى غير رسمية أن عملية الاغتيال كانت بتوجيه من الرئيس العراقى صدام حسين وذلك بسبب مشادات عنيفة حدثت بينهما عندما طلب منه أبو اياد عدم زج اسم القضية الفلسطينية في خلافه مع الكويت، حيث عمل أبو إياد جاهداً في آخر أيامه على النأى بالملف الفلسطينى

عن التناقضات العربية.

وبين الولادة في اليوم الأخير من شهرأغسطس عام ١٩٣٣، والشهادة في الدقائق الخمس الأخيرة، قبل انتصاف شهر نوفمبر عام ١٩٩١، ثمانية وخمسون عاما من التاريخ الفلسطيني المتفجر باللوعة.. وبالانتصار، فابواياد كان، في حياته يحمل فلسطين كاملة، ويحلم بفلسطين كاملة. وعندما اخترق الرصاص جسده أصاب فلسطين كلها. لكن (الوطن) الذي ناضل أبوإياد لاستعادته ودفع من اجله هو وكثيرون غيره حياتهم، أخذ من دمائهم وعزيمتهم وسيلة للبقاء.

"سيكون لنا، ذات يوم وطن.." قالها ابواياد ومضى، بعد قرابة ثلاثة عقود من النضال في قواعد المقاومة وفي قلب قيادتها... وها هو الوطن يتشكل الآن حجرا حجرا، وشجرة شجرة، ومدينة مدينة، محتفظا برائحة الشهداء وعبق تاريخهم.

لم يكن أبو إياد الشهيد الفلسطيني الأول، ولن يكون الأخير، لكنه واحد من الرموز النضالية المهمة في التاريخ الفلسطيني المعاصر، وهو، بلا شك، واحد من أهم رموز الثورة الفلسطينية وقادتها البارزين. وفي سيرته من الولادة إلى الشهادة تلخيص للعذاب الفلسطيني وللإنجاز الفلسطيني أيضا...

شكر خاص

فى نهاية كتابى لا يسعنى إلا أن أشكر بعضاً ممن ساعدونى فى إتمام هذا الكتاب وأخص بالشكر كل من:

١- د.سمير غطاس الكاتب والمفكر السياسى- مدير مركز مقدس للدراسات الفلسطينية والإسرائيلية.

٢- السيد/يونس الكترى أحد مؤسسى منظمة التحرير الفلسطينية.

٣- السيد/ناجى الناجى المسئول الإعلامى الثقافى بالسفارة الفلسطينية بالقاهرة.

٤- المهندس/ أحمد محسن مصمم الجرافيك.

٥- فنانة الكاريكاتير/ إيمان المغربى.

خاتمة

حين كتبت كتابى السابق بعنوان "النكبة وحقيقة نصف الدولة" لم أكن أتوقع أن يلقى كل هذه الحفاوة وخاصة فى المجتمع الفلسطينى "صاحب القضية"، كانت نيتى أن أكتب سطورا يقرؤها الشباب حتى يعرفوا أصل الحكاية.. حكاية بنت اسمها فلسطين، كيف ضاعت الأرض ومن المسؤول عن ضياعها. وأثناء مناقشتى للكتاب مع عدد من أعضاء الجالية الفلسطينية فى مصر، وبعض من أفراد البعثة الدبلوماسية، خطرت ببالى فكرة هذا الكتاب الموجود بين يديكم الآن.."عجائب فلسطين السبع".

لماذا لا نعرّف الشباب بكل شئ عن فلسطين .. ليس فقط "النكبة" وحق العرب فى الأرض بل وأيضا هؤلاء الذين دافعوا عن الأرض بكل ما يملكون من قوة، أبناء فلسطين الذين حاربوا فى كل حدب وصوب فى أرض المعركة وعلى الصفحات بالسلاح وبالقلم وبالفكر العاقل الواعى لأهمية القضية .. ومن هنا كان دافعى لأتخير سبع من عجائب فلسطين بحق.. أحمد ياسين، ياسر عرفات، جورج حبش، أبو جهاد، دلال المغربى، محمود درويش، وأبو آياد.

هؤلاء كانوا ولايزالوا رموزا للصمود الفلسطيني، لحب الوطن الصادق الخالص، كثير من الشباب يعرفون بعض هذه الشخصيات، لكن ما هي معلوماتهم عنهم؟ هل هي معلومات كافية؟ علينا أن نعرف كل شئ عن (فلسطين) تلك القضية التي أصابت قلب الأمة العربية بفيروس صهيوني لابد من التخلص منه. ليعلم الجميع أن القضية الفلسطينية هي قضية حياة عاش هؤلاء من أجلها وماتوا في سبيلها.

إن بضع صفحات لا يعقل أن تتسع لتاريخ عمره من السنوات يفوق النصف قرن وعليه فان هذه محاولة مني لرصد محطات رئيسية من هذا التاريخ، وبعض من رموزه الوطنية التي كتبت هذا التاريخ بدمائها، هي وحدها لها الحق بأن تحمل الكتب والصحف والمجلات أسماءهم قبل غيرهم ممن هم على قيد الحياة. كما أن هذا الكتاب لا يمكن أن يتسع لسرد مطول عن شخصيات أقل ما يقال عنهم إنهم الآباء الشرعيون للنضال الفلسطيني في ظل وجود سلطة لاهم لها سوء الصراع الدائم على المناصب وأكياس الدولارات.

سهى علي رجب

soha2002mb@yahoo.com

المراجع

١- أبو جهاد أسرار بدايته وأسباب اغتياله/ محمد حمزة العزوني / مكتبة الأسرة / ١٩٨٩
٢- التجربة النضالية الفلسطينية حوار شامل مع جورج حبش / محمود سويد / مؤسسة الدراسات الفلسطينية / ١٩٩٨
٣- الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة / أحمد منصور / الدار العربية للعلون ، ناشرون/ ٢٠٠٣
٤- حكيم الثورة .. سيرة جورج حبش ونضاله / فؤاد مطر / دار النهار للنشر / ٢٠٠٨
٥- دلال المغربى _قصة شعرية للأطفال / محمد الظاهر / دار الشروق للنشر والتوزيع /١٩٨٤
٦- فلسطينى بلا هوية: صلاح خلف "أبو اياد" / فؤاد أبو حجلة / دار الجليل للطباعة والنشر / ١٩٩٦
٧- محمود درويش .. عصى على النسيان / ميشال سعادة / رياض الريس للكتب والنشر / ٢٠٠٩
٨- ياسر عرفات / بسام أبو شريف / رياض الريس للكتب والنشر / ٢٠٠٥
٩- ياسر عرفات من الثورة إلى الدولة / نهاد حميد، نائل حميد / دار الكرامة / ٢٠٠٤


المنطقه العربيه



• الاستعداد للحوار •


من قبل ما تقول ..
إيهاب المغربي

محتويات الكتاب

الموضوع	صفحة

تم بحمد الله وتوفيقه

٢٠ / ٦ / ٢٠١٠

مطابع قــرطـــاج



ثقافة لإثراء العقل و تنمية الذات

رؤيتنا

الثقافة إحتياج إنسانى

بها تتحقق إنسانية الروح والفكر والسلوك

لذا كان شعارنا

ثقافة لإثراء العقل وتنمية الذات

كثقافة عمل نعنى بتطبيقها فى إصدارتنا

ومنذ قديم الزمان لعبت قرطاچ دوراً رئيسياً
فى نقل وإلتقاء حضارات الشمال و الجنوب
لذا اخترناها علم لمركزنا يعبر عن دور نهدف
إلى الإضطلاع به دعماً للثقافة العربية فى
عصر العولمة

السيد إمبابى
مركز قرطاچ للنشر والإعلام